الجمهوريـــــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمـــــــــي
جامعة السانية وهران

كليـــــــــة الآداب،
اللغات والفنون
قسم اللغة العربية
وآدابها

مشروع اللسانيات التداولية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية

بعنـــــوان

البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى" عليه السلام"

إعداد الطالب :

امحمد عرابي

إشـــــــراف :

د. عبد الخالق رشيد

لجنة المناقشة :

أ.د. بكري عبد الكريم .....رئيسا (جامعة وهران)

د.عبد الخالق رشيد..... مشرفا ومقررا (جامعة وهران)

أ.د.مطهري صفية .....مناقشا(جامعة وهران)

د.بن عيسى عبد الحليم .....مناقشا (جامعة وهران)

السنة الجامعية 2008/2009

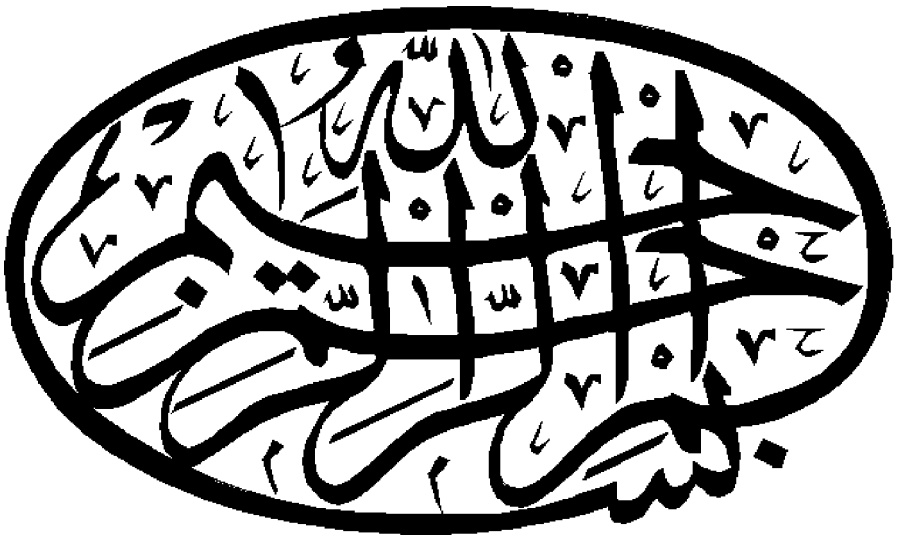

إهداء

مقدمـــة:

ظهرت الدراسات اللغوية منذ ظهور العلوم المعرفية المختلفة المسايرة لتطور الحضارات الإنسانية، إلا أن الاهتمام باللغة كان على الدوام يشكل قطب الرحى في مختلف الدراسات العلمية والمعرفية، سواء أكانت هذه اللغة طبيعية أم اصطناعية أم رمزية، الأمر الذي أدى إلى تفرع الدراسات اللغوية المختلفة من نحو وصرف ودلالة وغيرها.

إلا أن التحول الحضاري الفكري في رحاب الحضارة الإنسانية الذي شهده القرن التاسع عشر والقرن العشرين، خاصة بعد الثورة العلمية التي أحدثها "فيرديناند دي سوسير F.de Saussure "تعد قطيعة ابستيمولوجية معرفية مع الدراسات اللغوية التي كانت قبلها، وهو ما يفسر النقلة النوعية من الدراسات المعيارية نحو الدراسات الوصفية المعتمدة على المنهج العلمي الدقيق والمقاييس المضبوطة للتعامل مع الظاهرة اللغوية. وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور الدراسات اللسانية الحديثة باتجاهاتها الثلاثة الكبرى البنيوية والتوليدية التحويلية والتداولية.

ترجع البدايات الأولى للتداولية إلى بداية القـــرن التاسع عشر مع "شارل موريس Charle Morris"و"فريج Frege" كطرح فلسفي، لتتبلور بعد ذلك في الدراسات اللغوية في الخمسينيات من القرن العشرين مع محاضرات "جون أوستين J. Austin " التي ألقيت في جامعة هارفارد ضمن برنامج محاضرات "وليام جيمس Willam James Lectures". وكان ذلك سنة 1955، وهو ما يعد التأسيس الفعلي للدرس التداولي المعاصر، متمثلا في ظاهرة الأفعال الكلامية التي تجلت لـــــدى "أوستيـــنJ. Austin "من خلال كتابه " كيف ننجز الأشياء بالكلام"، لتتطور الرؤية بعد ذلك وتتبلور بشكل أوسع عند تلميذه "سيرل Searle".

ومع نهايات القرن الماضي توسعت اهتمامات التداولية لتطال موضوعات أخرى لها صلة مباشرة بالاستخدام الفعلي للكلام، كاستراتيجيات الخطاب، واقتضاء الكلام، والحجاج اللغوي. وقد جلب هذا المجال الأخير للدرس التداولي اهتمامي منذ

انتسابي إلى حلقة البحث ضمن مشروع الماجستير الذي اتخذ من اللسانيات التداولية محورا له.

بعد اطلاعنا على أهم المحطات التي مر بها الحجاج اللغوي، بداية مع الفلاسفة اليونان، مرورا بالحضارتين العربية الإسلامية والغربية. وإلى يومنا هذا، اتضح لي جليا أن الحجاج شكّل على الدوام ضرورة إنسانية، حيث أن الجماعة البشرية على اختلاف لُغاتها، ودرجة تطورها، وتباين عقلياتها، تصبو دائما فيما بينها، وفي محاوراتها مع غيرها، إلى إقناع الآخر حول ما تبسطه من آراء و رؤى ومفاهيم، وتحمله على الإذعان لها؛ تلك طبيعة البشرية في كل زمان ومكان. وقد تجلت هذه الظاهرة بأوضح ما يكون في الخطاب القرآني، فما زال القرآن وسيبقى على مر الأزمنة والعصور، يحاجج العقول بشتى الطرق بالحجة و البرهان، بالأمثال والحكم، بالرمز والتصوير، ليدعم إيمان المؤمن ويلطِّف من عناد الكافر.

ومن هذه المعاينة خطر لي أن أجمع بين الاهتمامين :الحجاج بأبعاده التداولية المعاصرة ممثلة على الخصوص في الطرح الحديث الذي تقدم به كل من "بيرلمان Perelman وزميله تيتكا Tyteca" في مصنفهما الموسوم بـــ "مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة، raite de l'Argumentation- Nouvelle Rhétorique". والقرآن الكريم كمدونة تطبيقية تتجلي فيها أضرب الحجاج على اختلاف أنواعها. وارتأيت، من باب التحكم في الموضوع، حصر المدونة في قصة موسى –عليه السلام– باعتبار أنه من أكثر الرسل مُحَاجَّة للكفار؛ فقد حاجّ الرؤوس الثلاثة الأكثر انغماسا في الشرك والإلحاد وهم: فرعون وهامان وقارون، كما أنه –عليه السلام– قد أفنى عمره في كسر عناد بني إسرائيل مستعملا شتى أضرب الإقناع، ولذلك ارتأيت أن يُوسم هذا البحث بـــ:

البنية الحجاجية في قصة موسى عليه السلام

والمراد من هذا الجمع بين النظرية الحجاجية المعاصرة والقرآن الكريم وهو الخطاب الكوني الذي لا تنضب دلالاته، هو الوقوف على تقنيات ومقاصد الشرع

الحكيم في توظيفه للحجاج، ومدى قابلية المُحاجَّة القرآنية في التغلغل داخل العقول الأكثر إلحادا أو عنادا لحملها على الاقتناع والإذعان للحكمة الإلهية، ففيما يتجلى ذلك في الخطاب القرآني الكوني بعامة، وفي قصة موسى بخاصة؟

لمعالجة هذه المشاغل وغيرها ارتأيت تأسيس البحث على مدخل نظري وثلاث فصول تطبيقية:

1.مدخل: وتعرضت فيه للجانب النظري من البحث، وتمحورت مباحثه حول :

- مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح.
- الحجاج بين الجدل والبرهان والاستدلال.
- الخطاب الحجاجي وسماته.
- تقنيات الحجاج ونظرية السلالم الحجاجية.

2.الفصل الأول: عالجت فيه الطرائق الاتصالية الشبه منطقية التي تتسم بملامستها لقواعد المنطق وتتميز بالنسبية وعدم الإلزام. وتنقسم بدورها إلى قسمين :

أ. الطرائق المؤسسة على البنى المنطقية و المعتمدة على المنطق الطبيعي الذي هو جزء من البنية العقلية عند الإنسان. وتندرج تحتها أنواع ثلاثة هي:

-حجة التناقض وعدم الاتفاق الذي يُؤسِّس تناقض حدِّي قضية في سياق واحد.

-حجة التماثل والحد في الحجاج(الهوية والتحديد والدور)، الذي يقتضي التعريف بالفكرة وضبط حدودها عن طريق الكلمات التي تتفق أو تتشابه لفظا وتتنوع دلالة.

- أما الحجة القائمة على العلاقة التبادلية فتقوم على مبدأ العدالة بين الأفراد والقضايا التي يربطها رابط سببي واحد.

ب.الطرائق المعتمدة على البنى الرياضية و التي تتأسس في تشكيل علاقاتها الداخلية وتلاؤمها على العلاقات الرياضية؛ وهي أنواع ثلاثة :

- حجج التعدية والتضمن والتقسيم والتي قوامها أن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء وما ينطبق على الجزء ينطبق على الكل.

- أما حجة المقارنة فتتأسس في جوهرها على عملية القيس.
- الحجة القائمة على الاحتمال و ترتكز على مبدأ النسبية، وتتمثل فيما يمكن أن يحققه المرء من أهداف عن طريق التوقع؛ أي أن نتائجها غير مطلقة.

3.الفصل الثاني : وقد خصصته للحجج المُؤسَّسَة على بنية الواقع، وهي التي تقوم على التجارب والوقائع والأحداث المتعالقة بين الأشياء المُكوِّنة للعالم، وتستند في أساسها إلى الواقع، وتتفرع بدورها إلى ثلاث أضرب من الحجج هي:

- حجة روابط التتابع أوالتعاقب: وتكون فيها الظواهر منتسبة إلى نفس الطبيعة، وتتمثل في تلك الروابط القائمة بين الأحداث التي يربطها رابط سببي.
- حجة الغائية:وهي التي يسعى المحاجج من ورائها إلى بلوغ غاية التأثير والإقناع، وتتمظهر من خلال الأحداث المعيشة واقعيا.
- حجة روابط التزامن أوالتواجد (التصاحب- التعايش): و تقوم على العلاقة بين المصدر وما ينتج عنه، وتتدرج تحتها تقنيات عديدة منها: التداخل بين الشخص وأفعاله، وعلاقة الحجة بالسلطة، وعلاقة الرمز بأطرافه المكونة له.

4. الفصل الثالث: وقد أوقفته على مناقشة الحجج المُؤسِّسة لبنية الواقع(المُبَنْيِنَة للواقع)، التي تتصل بالواقع اتصالا وثيقا وتسعى إلى تأسيسه عن طريق الربط بين الأحداث المتعايشة أو المتتابعة، فهي تكمِّل الواقع وتظهر العلاقات الموجودة بين أشياءه. وتتوزع بدورها على مستويين اثنين:

أ. تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة: التي تكتفي بالربط بين وقائع متعايشة أو متتابعة تنتمي إلى نفس الجنس، وتتدرج ضمنها:

- حجة الشاهد: الذي يسعى إلى إثبات قاعدة معينة.
- حجة المثال: الذي يوضح ويُقوّي القاعدة .
- حجة القدوة(النموذج): التي تسعى إلى الحمل على الإقتداء.

ب.تأسيس الواقع بواسطة التمثيل : الذي يعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد، أو إثبات حقيقة عن طريق التشابه في العلاقات. وتنضوي تحته ثلاث تقنيات هي:

- حجة التشبيه: الذي يسعي إلى الربط بين المتباينات في الجنس.
- حجة الاستعارة:التي تربط بين متشابهين منتميين إلى جنسين مختلفين متباينين.
- حجة التناسب: التي تسعى إلى التأليف بين علاقتين باعتبار أن الشبيه والموضوع ينتسبان إلى مجالين مختلفين.

ولإجراء هذا البحث اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، باعتبار أن هذا المنهج يتماشى مع منطق الظاهرة اللغوية، واعتماد نماذج من قصة موسى –عليه السلام– وتحليلها ومناقشتها بكتب التراثيين والمحدثين، كما قمت بتحليل ومقارنة الحجج الواردة في أقوال المولى عز وجل، تلك المحكية على لسان سيدنا موسى –عليه السلام– وما ورد في القرآن من أقوال محكية على لسان خصومه، من حيث تنوعها شدّةً وقوةً في الإقناع .

ومن أهم وأبرز المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الحجاج بتقنياته المختلفة والتي جعلت منها ركيزة في هذا البحث، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: كتاب "الحجاج في القرآن الكريم" لعبد الله صولة الذي حاول أن يبرهن من خلال تحليل الكلام القرآني بكلماته وتراكيبه وصوره تحليلا أسلوبيا حجاجيا، على أنه بالإمكان تضييق الهوة الفاصلة بين البلاغة الغربية و بلاغة الأسلوب من ناحية، وبلاغة الحجاج من ناحية أخرى، أما كتاب "الحجاج في البلاغة المعاصرة" لمحمد السالم محمد الأمين الطلبة، فقد تناول فيه تطور البلاغة الحجاجية، وما عرفته في ظل التطورات النقدية واللغوية والتواصلية الراهنة بصفة عامة. إضافة إلى مُؤلَّف "الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه" لسامية الدريدي، الذي عالجت فيه بنية الحجاج وأساليبه ومختلف الأفانين الرافدة له في الشعر العربي القديم. كما نخص بالذكر كتاب "الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية" لمحمد الولي، الذي أبرز من خلاله مفاهيم البلاغة اليونانية ممثلة بأرسطو وبلاغة "بيرلمان Perelman " الحجاجية الجديدة بمقوماتها ومسلماتها

وتقنياتها المختلفة، بالإضافة إلى مجموعة من تفاسير القرآن الكريم كالكشاف للزمخشري، وأنوار التنزيل للبيضاوي، روح المعاني للألوسي، وغيرها.

في خضم هذه الرحلة العلمية مع الحجاج اللغوي واجهتني بعض الصعوبات، لعل أهمها صعوبة التعامل مع الخطاب القرآني الذي يفرض على الباحث توخي الحيطة والحذر مع تراكيبه ومعانيه باعتباره نصا مقدسا يصعب تأويله.

كما واجهتني ندرة بعض المصادر من بينها كتاب "البرهان في وجوه البيان" لابن وهب، وكتاب "الميزان في تفسير القرآن" للطباطبائي، وكتاب "مصنف في الحجاج – البـــلاغة الجديدة " Traite de l'Argumentation Nnouvelle rhétorique" لبيرلمان Perelman وزميله تيتكا Tyteca ".

ونرجو في الأخير أن نكون موفّقين في هذا الموضوع الّذي بذلنا فيه قصارى جهدنا، حتّى يكون على الوجه الّذي يتماشى و قيمته العلميّة، و لسنا ندّعي مِن خلال ذلك الإتيان بالجديد، بل إنّه جهد المُقلّ الّذي يرجو أن يقدِّم لأمتّه النّزر اليسير في سبيل خدمة كُتَّابها و لغتها، فعلّنا أن نكون أصبنا هذا الهدف في هذا البحث الّذي لا يسلم ــ كغيره مِن البحوث ــ مِن حاجته إلى التّصـــويـــــب والتّنقيـــح الدّائم المتواصل.

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أحمد الله على نعمة العلم أولا، وأن أوجه خالص شكري وامتناني إلى أستاذي الفاضل المشرف: على إرشاداته السديدة، التي لا يُجمل بي إغفال ذكرها منذ بداية المشوار، كما أنوه بمجهودات ونصائح أستاذي الكريم: الدكتور فيما أعانني عليه لتخطي بعض العقبات، فلقد تعلمت منهما الدقة والإخلاص في البحث، أو بالأحرى معنى العصامية فيه، وحسبي هذا شرفا وفضلا، فلهما مني خالص التقدير والعرفان، راجيا من المولى عز وجل أن يجازيهما عني خير الجزاء، وأن يجعلهما نورا وذخرا لهذه الأمة جمعاء.

وهران في :2009/05/25

مدخل :الحجاج – مفاهيمه وآلياته النظرية

توطئة

I.مفهوم الحجاج

1.الحجاج في اللغة.

2.الحجاج في الاصطلاح.

1.2.الحجاج عند بيرلمان.

2.2.الحجاج عند انسكومبر.

3.2.الحجاج عند طه عبد الرحمان.

II. الحجاج بين الجدل والبرهان والاستدلال

III.الخطاب الحجاجي وسماته.

1.طبيعة الخطاب الحجاجي.

2.سمات الخطاب الحجاجي.

3.الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه.

4.الحجاج والمقام.

VI.تقنيات الحجاج ونظرية السلالم الحجاجية

1.تقنيات الحجاج (أنواع الحجج).

2.نظرية السلالم الحجاجية.

3.طبيعة البنية الحجاجية (خلاصة وتقويم).

توطئــــة:

يعد الحجاج من أهم المواضيع التي أنتجتها الدراسات اللغوية الحديثة في الحقل اللساني التداولي، باعتباره مجموعة من التقنيات والآليات الخطابية التي تُوَجَّهُ إلى المتلقي بغرض إقناعه والتأثير فيه، وعليه فالحجاج هو« جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفية هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع».[1]

تعددت زوايا النظر إلى الحجاج بحسب زاوية نظر الدارسين له؛ فالبلاغة التقليدية نظرت إليه« كمكوِّن من مكونات الخطاب ويتشكل بتشكله وتتغير وظائفه وطرقه الاستدلالية بتغيره»[2]. كما تتجلى آثاره في الدراسات التراثية المختلفة وتتعدد بتعدد مجالاتها، غير أنه أصبح في الدراسات الحديثة مجالا خاصا، تضبطه ماهية ومفاهيم خاصة وآليات وتقنيات متعددة أهلته إلى بلوغ مرتبة النظرية اللغوية القائمة على أسس علمية دقيقة.

انبرى رعيل من اللغويين في القرن العشرين لدراسة الحجاج والاهتمام به ومحاولة التنظير له.وقد تناولوا ضمن هذا المسعى الأساليب الإجرائية في لغة الحجاج، وتنوع الخطابات ضمن السياقات المقامية المختلفة وغاياتها واستراتيجياتها، والتي تُعدُّ من صميم البحث في المنهج التداولي اللساني. وقد أطلقوا على الدراسات الحجاجية الحديثة مصطلح البلاغة الجديدة، ويرجع الفضل في ذلك إلى "بيرلمان Perelman " وزميله"تيتكاه Tyteca" عند إصدارهما سنة 1958 لمؤلفهما "مصنف في الحجاج – البلاغة الجديدة Traite De L’argumentation Nouvelle Rhétorique. "، الذي يشمل عنوانين «"مصنف في الحجاج" ويحمل إلى عنوانه الكبير المذكور عنوانا فرعيا تفسيريا هو "البلاغة الجديدة"، وكان هذا العنوان إيذانا

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية الدريدي –ص21 –عن مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة – بيرلمان وتيتكاه–المطابع الجامعية بليون–1981–ج1–ص13.

[2] النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية– محمد طروس– المغرب –دار الثقافة –ط1 – 2005 –ص14.

بدخول الدراسات البلاغية مرحلة جديدة يعنى فيها بدراسة الحجاج »[1]. وقد شكل ظهور هذا الكتاب « فتحا جديدا وأساسيا في عالم الخطابة الجديدة قد مثل نظرة منطقية للحجاج، إذ استأنف بيرلمان تحليل التفاعل بين الباث والمتلقي في الخطاب المكتوب تحديدا وكان حريصا على الظهور بمظهر المنطقي المتمكن من آليات التفكير، لا رجل بلاغة فحسب»[2].ومن ثم يعدُّ بيرلمان من منظري النظرية الحجاجية.

فالحجاج آلية تجسد الخطاب الإقناعي، وتكمن أهميته فيما يتأكد من إقناع لدن المتلقي عن طريق اللغة، مما يؤكد« أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وأن الوظيفة الحجاجية للغة هي الحجاج، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية»[3]. وذلك ما يفسر أن مجال الحجاج هو حقل اللغة.

I.مفهــوم الحجاج:

تقاربت نظرة الدارسين اللغويين لمفهوم الحجاج في اللغة بخاصة ورأوا أنه يضارع الجدل والبرهان اللذان يستدل بهما المتكلم، وله مفهوم لغوي وآخر اصطلاحي.

1.الحجاج في اللغة :

الحجاج في اللغة من"حاجَّ يُحَاجِجُ حِجَاجًا". وقد حده ابن سيده (ت458هـ) بقوله:« حَاجَجْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاجاً مُحَاجَّةً من حَجَجْتُهُ بالحجج التي أدليت بها ،والحُجَّةُ البرهان، وقيل الحُجَّةُ ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحُجَّةُ الوجه الذي يكون الظفر عند الخصومة. وجمع الحُجَّةُ حُجَجٍ وحِجَاج. وحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجَاجَاً نازعه الحُجَّةُ، وحَجَّهُ يَحُجُّهُ حَجّاً غلبه على حجته، وفي الحديث :" فَحَجَّ آدم موسى"؛ أي

---

[1] حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة – محمد ولد الأمين– ليبيا– المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر– 2004– ط1–ص15.

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه – سامية الدريدي –ص21.

[3] استراتيجيات الخطاب–عبد الهادي بن ظافر الشهري –عن سلطة الكلام وقوة الكلمات –أبو بكر العزاوي– مجلة المناهل –وزارة الثقافة والاتصال المغربية–السنة25 العدد 62–63 ضفر 1422 ه –ماي2001–ص142–143.

غلبه بالحُجَّة، واحتج بالشيء اتخذه حجة .قال الأزهري:" إنما سميت حُجَّةً لأنها تُحَجُّ، أي تُقْصَدُ؛ لأن القصد لها وإليها».[1] فالحُجَّةُ عند ابن سيده هي البرهان أو سلسلة الحِجَج التي يستطيع المتكلم أن يفحِم بها المتلقي.

أما ابن منظور(ت711هـ) فقد ذكره في معجمه وقال: « حَاجَجْتُهُ أُحَاجُّهُ حِجَاجاً ومُحَاجَّةً حتى حَجَجْتُهُ؛أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ... ويقال حَاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجَاجًا نازعه الحُجَّةَ...ويقال أنا حَاجَجْتُهُ فأنا مُحَاجُّهُ وحَجِيجُهُ ؛أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان».[2] فابن منظور حذا حذو ابن سيدة في مفهومه هذا ورأى أن الحجة هي البرهان والدليل.

يتضح من خلال ما سبق أن الحجاج يتجلى في الخطابات التي تهدف للإقناع، وغرضه التأثير في المتلقي أو إرغامه على الامتثال لأمر ما والتسليم به. وهو بهذا يؤسس للدفاع عن الأفكار المعروضة من طرف المتكلم، وأنه يتجسد في مجال النسبية لا مجال الأحكام المطلقة والمنطقية. وهو ما كان محور الدراسات اللسانية التداولية في تناولها لمفهوم الحجاج اللغوي .

2.الحجاج في الاصطلاح:

تباينت نظرة الدارسين المعاصرين (العرب–والغربيين) لمفهوم الحجاج بحسب تنوع الزوايا التي نظروا إليه: البلاغية واللسانية والفلسفيـــة والأصولية، وهو ما أدى إلى ظهور العديد من المفاهيم المتعددة التي أثرت حقل الدراسات اللسانية بعامة والحجاجية بخاصة ومن أبرز هذه المفاهيم في العصر الحديث نذكر:

1.2.مفهوم بيرلمان Perelman و تيتكاه Tyteca للحجاج :

يرى هذان الباحثان أن«موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات ، أو

[1] المحكم والمحيط الأعظم– ابن سيده –تحقيق: عبد الحميد هنداوي–لبنان –دار الكتب العلمية–مادة (حجج).

[2] لسان العرب –ابن منظور–لبنان –دار صادر –ط1–المجلد 2–مادة (حجج)

أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[1]. فالخطاب الحجاجي عندهما خطاب واعي يرتكز في أساسه على منتجي الخطاب، وعلى مدى قدرته على بناء نص حجاجي من خلال توظيفه للآليات الحجاجية المختلفة، إذ أنه يحمل الطابع الجدلي الذي يتجسد بين الباث والمتلقي وفق تقنيات معينة يحاول بواسطتها كل منهما إقناع الآخر وإفحامه بحجج منطقية عقلانية.

2.2.الحجاج عند أنسكومبر J-C.Anscombre و ديكرو O.Ducrot :

حاول كل من" أنسكومبر J-C.Anscombre و ديكرو O.Ducrot " أن يبرزا لنا مفهوم الحجاج من خلال مؤلفهما " الحجاج في اللغة".وبينا «أن مصطلحي البلاغة والحجاج يكتسبان معاني جد مختلفة عن التي كانت متداولة في التقاليد الأرسطية»[2]، وأن الحجاج عندهما يكمن في اللغة وليس فيما يتأسس عليه الخطاب من منطق رياضي أو شكلي أو صوري، خلافا لما هو عند بيرلمان Perelman و تيتكاه Tyteca.كما يريان أن: «لكثير من الأفعال القولية وظيفة حجاجية تتمظهر في بنية الجمل، وتحمل الجمل مؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية، باستقلال عن المحتوى الإخباري».[3] فهما يؤكدان أن أي خطاب له وظيفة حجاجية، فالحجاج عندهما يتمثل في «تحقيق عملين اثنين هما فعل التصريح بالحجة من جهة و فعل النتيجة من جهة أخرى، سواء أكانت هذه النتيجة مصرحا بها أو مفهومة من طرف ق*1.»[4].علما أن ق1 تمثل حجة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور ق2 ويكون ق2 هذا قولا صريحا أو ضمنيا.

---

[1] الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية – عبد الله صولة –ص27 عن traité de l ' argumentation ,p5.

[2] L’argumentation Dans Le Discours Ruth Amossy –France –Edition Nathan -2000.p17.

[3] النظرية الحجاجية–محمد طروس –ص106.

* ق1،ق2 هي عبارة عن حجج ،وق1 تؤدي إلى ظهور ق2.

[4] . l’argumentation dans la langue– j.c.anscombre et oswald ducrot –.Belgique-mardaga-3eme edition - p.11.

فالحجاج اللغوي من خلال مفاهيمها عبارة عن خطاب مُبْنَيَن من طرف المتكلم، مشروط بطرح مجموعة من الحجج متعلقة بمجموعة من القضايا تؤدي في الأخير إلى التسليم بالنتائج المتوصل إليها.

ومن الأمثلة التي أورداها لنا عن ذلك في الحجاج قولهما:«إذا قلنا: "هيا بنا للنزهة لأن الطقس جميل"، أو قلنا: "الطقس جميل فلنخرج للنزهة"، فتكون الحجة ق1 :هي "الطقس جميل"، والحجة ق2 هي:"فلنخرج للنزهة" فالنتيجة الضمنية غير المصرح بها هي ق2، شريطة أن يكون التوصل إلى هذه النتيجة سهلا يسير المنال، ويتمثل ذلك في الحوار الآتي :

- السؤال:هل ترافقني لمشاهد هذا الشريط السينمائي؟.
- الجواب:لقد شاهدته.

فالجواب المصرح به"لقد شاهدته" يعتبر دليلا مؤديا بالضرورة إلى الجواب[الضمني] " لا"»[1].

يتضح مما سبق بسطه أن وظيفة الحجاج عندهما تقوم على "التوجيه L'orientation "و«أن كل حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطابية في تعلقها بالمتكلم، والدليل على تعلق الحجة الموجهة بالمتكلم هو أنها تعد فعلا قصديا متميزا، ويظهر تميُّزُ قصدية الجهة الموجهة في أمرين هما:عدم انفكاك القصدية عن اللغة وتراتب القصدية»[2]. مع العلم أن الحجة لا تفارق اللغة، وأن اللغة هي مجال القصدية، وهو ما يؤكد أن الحجاج يكمن داخل إطار اللغة. فعلى مستوى السامع يكون التوجيه بالتأثير فيه، و«من الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي " إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي" لديه»[3]. أما على صعيد الخطاب فيتحقق التأثير من خلال الحجج المتتالية التي تشكل بنية الخطاب، باعتبار أن الحجة الأولى تؤدي بالضرورة إلى الحجة

[1] . L'argumentation Dans La Langue– J.C.Anscombre Et Oswald Ducrot - p.163.

[2] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي– طه عبد الرحمان–المغرب–المركز الثقافي العربي– ط1– 1998–ص259.

[3] استراتيجيات الخطاب –عبد الهادي بن ظافر الشهري–ص444.

الثانية، وأن الحجة الثانية تؤدي بالضرورة إلى الحجة الثالثة، وهكذا دواليك، ويتجلى الإقناع و التأثير بالتصريح أو بالتضمين، وذلك ما يفسر سلطة الخطاب الحجاجي الذي يؤدي إلى توجيه المتلقي وإقناعه.

.3.2.الحجاج عند طه عبد الرحمان:

انطلق طه عبد الرحمن من حقيقة الاستدلال في الخطاب الطبيعي ورأى بضرورة هذه الحقيقة الحجاجية لا البرهانية الصناعية. وفي مستهل حديثه عن الحجاج قال: «وحد "الحجاج"أنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي، لأن طابعه الفكري مقامي و اجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صورا استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة»[1]. لأن الاستدلال باعتباره «طلب الدليل»[2] يشمل مجالي البرهان والحجاج معا. وعلى هذا قد يكون غير كاف إذا كان الاستدلال يحمل الصفة البرهانية لتحقيق الإقناع الذي يهدف إليه الحجاج، كأن تبني الانتقالات فيه على الصور مع مضامينها مجتمعة لا على صور القضايا وحدها وأن تحمل هذه الانتقالات ضمنيا الكثير من المقدمات والنتائج وأن يُفْهِم المتكلم المتلقي معاني غير تلك التي نطق بها، أملا في استحضارها من طرف المتكلم إثباتا أو إنكارا كلما تحقق ذلك داخل نفس السياق الاجتماعي[3].

يبدو من خلال هذا المفهوم أن الحجاج عند طه عبد الرحمن يكتسي طابعا تداوليا جدليا، لأنه يأخذ في الحسبان السياقات المقامية والاجتماعية المختلفة، وكذا

---

[1]في أصول الحوار وتجديد علم الكلام – طه عبد الرحمن– المعرب–المركز الثقافي العربي–ط3–2007–ص65

[2]مفتاح الوصول إلى علم الأصول– محمد الطيب الفاسي –في شرح خلاصة الأصول –عبد القادر الفاسي –تحقيق إدريس الفاسي الفهري–الإمارات العربية المتحدة–دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث–ط1–2004–ص308.

[3] ينظر في أصول الحوار وتجديد علم الكلام–طه عبد الرحمن–ص65.

المعارف والخبرات المشتركة بين المتخاطبين بعامة بهدف الانسجام الحواري التخاطبي بغرض التأثير والإقناع. لذا فالحجاج عنده أعم من البرهان لأنه قائم على صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة.

إن الخطاب الحجاجي الموجه يجب أن يرغم المتلقي على التأويل، وهو ما يسميه عبد السلام عشير بـــ"المبدأ الافتراضي"، إذ«تقوم كل الأقوال في العمليات التخاطبية على مبدأ الافتراض المُؤَسَّس على الجواب والسؤال المفترضين انطلاقا من مجموعة من المقومات التي تحكم العمليات التواصلية، كالسياق والمعلومات الموسوعية والتجربة الذاتية والقدرات التفكيرية والتأويلية التخيلية، إذ يصبح كل قول " خبرا، إنشاء، سؤالا، تعجبا،أمرا، نهيا..." افتراضا لشيء ما داخل سياق تخاطبي معين، أي جوابا عن سؤال سابق وسؤال لجواب لاحق، وبهذا يعبر الافتراض عن انتظارات متعددة ومختلفة تقتضيها العلاقات الإنسانية لتحقيق أهدافها ومراميها»[1]. فالمبدأ الافتراضي عنده هو تلك الافتراضات المسبقة التي تتشكل بين المتخاطبين لتحقيق القصدية وهو بهذا التوجه يَعُدُّ الافتراض مبدأ لإشكالية المساءلة والحجاج.

فمن خلال هذه التعريفات والمفاهيم المختلفة للحجاج في الحضارتين العربية والغربية، يتضح أن الحجاج فعل خطابي موجه من مرسل لمتلقي، قائم على سلسلة من الحجج تتحقق في سياقات مقامية مختلفة داخل اللغة، تهدف إلى النفي أو الإثبات بغرض التأثير والإقناع.

II.الحجاج بين الجدل والبرهان والاستدلال:

عرف الحجاج إشكالية مصطلحاتية من حيث المفهوم في الدراسات التقليدية القديمة كالبلاغة التقليدية والفلسفة والدراسات الإسلامية والأصولية وحتى في بعض الدراسات الحديثة، إذ تداخلت مفاهيمه بمفاهيم الجدل والبرهان والاستدلال.

---

[1] عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج-عبد السلام عشير – المغرب-إفريقيا الشرق-2006 – ص196.

فالحِجَاجُ من "حَاجَّ يُحَاجِجُ حِجَاجًا " وعلى هذا يكون الحجاج هو « النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج»[1]، إلا أن ابن منظور يجعله مرادفا للجدل في قوله:«مقابلة الحُجَّة بالحُجَّة»[2]، وفي قوله:«هو رجل مِحْجَاجٌ أي جدل».[3]

وهناك من يرى أن الحجاج منزع جدلي في حد ذاته، يقول طه عبد الرحمن «وحد " الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية... وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة»[4]. فالحجاج –وإن كان ذو طبيعة جدلية –فهو أوسع وأشمل من البرهان.

كما يرى ابن وهب في تصوره للجدل أنه يقع في العلة. وهو برأيه هذا يتقاطع مع النظرية الحجاجية المعاصرة، وكلاهما يستمد آرائه من المفاهيم الأرسطية، والجدل عنده هو خطاب تعليلي إقناعي.[5]

أما ابن عاشور فيقر أن هناك فرقا جوهريا بين معنيي اللفظتين "البرهان-الجدل" من خلال تفسيره لقوله تعالى:﴿ [illegible] ﴾[6] إذ يرى أن: «معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدِّق للدعوة مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة...وأن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل»[7]، فالواضح من هذا القول أن ابن عاشور يحذو حذو ابن منظور في مفهومه للحجاج الذي يحمل معنى الخصام.

---

[1] الحجاج في القرآن الكريم–عبد الله صولة –ص10.

[2] لسان العرب –ابن منظور– لبنان–دار صادر– المجلد 2 – د.ط – د.ت – مادة "ج د ل".

[3] المصدر نفسه– مادة "ح ج ج"

[4] في أُصول الحوار وتجديد علم الكلام–طه عبد الرحمن–ص65.

[5] ينظر بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجا – إبراهيم عبد المؤمن –مصر –مكتبة الآداب–ط1–2007–ص5 و6.

[6] سورة البقرة –الآية 258.

[7] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور–تونس– الدار التونسية للنشر–1984–ج3 ص31و32.

أما في تناوله لمعنى "الجدل" في قوله تعالى:﴿ .... ﴾[1].فيقول:«والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك»[2]، وقال في موضع آخــر« المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه، فيكون في الخير كقوله:﴿ .... ﴾[3] وتكون في الشر كقوله﴿ .... ﴾»[4]فابن عاشور يرى أن الجدل أعم من الحجاج لأن الحجاج عنده دعواه قائمة على الباطل والجدل دعواه قائمة على الحق والباطل، رغم أن الخصام يجمع بينهما معا. في حين يرى "مايير Meyer " أن الحجاج والجدل وجهان لعملة واحدة، ونفرد الجدل بتعلقه بالمناظرة الخطابية في البلاغة.[5]

ويتداخل الحجاج من جهة أخرى مع الاستدلال والبرهان، أما الاستدلال فقد حده الشريف الجرجاني بقولهٍ: «الاســتدلال تقريــر الدليل لإثبات المــدلول ،سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر فيسمى استدلالا أنِّيًا، أو بالعكس فيسمى استدلالا لمَّيًا، أو من أحد الأثرين إلى الآخر»[6]. فالجرجاني يرى أن الاستدلال هو إثبات دعوى معينة بحجة أو دليل معين، ويكون بين بــاث ومتلقي، إلا أنه يختلف بحسب توجيهه فهو يشاكل الحجاج من حيث المضمون.

أما الحجاج والبرهان فيختلف مفهومهما بحسب مجال الاستعمال، إذ يتحقق الحجاج في اللغات الطبيعية ويتعلق بالقضايا ذات الطابع الاحتمالي، أي التي تُؤَوِّلُ إلى نتائج نسبية غير مطلقة،بينما البرهان يتحقق مع اللغات الشكــلية، أو الاصطناعية، أو الرمزية، أو المنطق الرياضي، التي تكون نتائجه مطلقة غير نسبية

---

[1] سورة النساء –الآية 107.

[2] التحرير والتنوير –الطاهر بن عاشور–ج5 –ص194.

[3] سورة هود –الآية 74.

[4] التحرير والتنوير –الطاهر بن عاشور– ج12–ص60.

[5] Voir –La Rhétorique –Michel Meyer -1er Edition –PUF-2004-p12

[6] التعريفات –الشريف الجرجاني– تحقيق إبراهيم الأبياري–لبنان–دار الكتاب العربي–ط1–2002–ص24.

وغير محتملة.ومن هنا« كان الحديث عن الحجاج عند أرسطو باعتباره فن الإقناع، أو مجموع التقنيات التي تحمل المتلقي على الاقتناع أو الإذعان، وهو حديث يستدعي ضرورة مصطلحا آخر هو الجدل الذي عَرَّفه أرسطو بكونه علم الاستدلال المنطقي، لكنه مع ذلك يخالف "البرهنة" من جهة انطلاقه من مقدمات مشهورة، في حين تنطلق البرهنة في الرياضيات والعلوم من مقدمات سابقة ضرورية، ولذلك نؤكد أن ما يميز الجدل عن البرهنة والفلسفة العلمية أنه يستدل انطلاقا من المحتمل(Probable)وما يميزه عن الفلسفة أنه يستدل بطريقة صارمة محترما بدقة قواعد المنطق»[1].

فمثلا: 1+2 في المنطق الرياضي تساوي3 بالضرورة أي النتيجة حتمية لا جدال فيها، كما يظهر ذلك من مجادلة سقراط لأوطيفرون Euthephron،إذ قال سقراط لتلميذه:« إذا اختلف رأينا أنا وأنت حول العدد (عدد الأشياء الموجودة في سلة)، أو حول الطول (طول قطعة من نسيج)، أو حول الوزن (وزن كيس من القمح)، فلن نتنازع من أجل هذا، ولن ندخل في نقاش، فسيكفينا أن نعد أو نقيس أو نزن وسَيُسَوَّى الخلاف»[2]، وكذلك إذا أخذنا بمبدأ التعدية التي«تحققها الصيغة التالية:[إذا كانت أ=ب وكانت ب=ج، نستنتج أن أ=ج]، وعلى ضوئها تُصاغ القاعدة الحجاجية (أصدقاء أصدقائي أصدقائي)»[3]. فالبرهان نتائجه حتمية أي أنه استدلال حسم أمر نتيجته .

أما على مستوى الحجاج اللغوي فالأمر يختلف، ذلك أننا إذا قلنا:«الأمطار غزيرة ستفيض الوديان (الفيضان ليس حتميا وإنما مرتقباً) »[4]. فرغم وجود حجج قوية ومتينة إلا أنه قد لا يهتدي إلى الحقيقة في النهاية. فـــ «الخطاب الذي يعطي ما

---

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم –سامية الدريدي –ص18 عن Intraduction A La Rhetorique -Olivier Reboul -Presses Universitaires De France-2eme Edition -Corrigee -1994-P39.

[2] بلاغة الحوار– المجال والحدود–محمد العمري–مجلة فكر ونقد www.fikrwanakd-p4.– aljabri abed.net-n61 تاريخ الزيارة 2007/07/20.

[3] النظرية الحجاجية– محمد طروس – ص31.

[4] حوارمع أبي بكر العزاوي ،أيوب المزين ،مجلة فكر ونقد www.fikrwanakd aljabri abed.net. تاريخ الزيارة2007/07/20.

يكفي من الحجج، لتبرير هذه النتيجة أو تلك، وينشأ الحجاج من العلاقة بين الحجج و بين النتيجة. وهي علاقة حجاجية وليست برهانية مادامت الحجج تتعدد، وتختلف درجة قوتها، وما دامت الحجة، حين تدخل في فئة حجاجية تصبح قابلة للدحض، ويمتنع أن تدخل في الفئة الحجاجية المقابلة ...وإذن فالحجة تحدد دائما فئة من الحجج المضادة والنتيجة تحدد نتيجة معاكسة[1]، والخطاب الحجاجي يتموضع مقابل خطاب مضاد، ويسعى إلى تحقيق العلاقة بين المرسل والمتلقي الممثلة في التأثير وتحقيق الفاعلية الإقناعية ومن ثم فالحجاج لا ينفصل عن الجدل، و«هذه الخاصية المتمثلة في القابلية للدحض من أهم الخصائص الجوهرية التي تميز الحجاج عن البرهنة، أو من الاستنباط، الذين يقدمان في نسق معطى بكونهما غير قابلين للدحض. من هنا أيضا تختلف العلاقة الحجاجية عن المنطقية»[2]. وهذا بالضبط ما قصده سقــراط بقوله لأوطيفرون:« ويبدو الجدل، باعتباره فنا للمناقشة، المنهج الملائم لحل المشاكل التطبيقية، تلك التي تُعْنَى بالأغراض العملية حيث تتدخل القيم»[3].

ومن ثم نستنتج أن الحجاج والجدل لا ينفصلان، وأنهما يختلفان مع البرهان باختلاف مجال وجودهما القائم على اللغة، باعتبار أن الحجاج يتعلق بالخطاب ويمتاز بخمسة ملامح رئيسة حددها بيرلمان Perelman وزميله تيتكاهTyteca وهي :

1- يتوجه إلى مستمع

2- يعبر عنه بلغة طبيعية

3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

---

[1] النظرية الحجاجية -محمد طروس -ص107و108.

[2] المرجع نفسه- ص108.

[3] بلاغة الحوار - محمد العمري - مجلة فكر ونقد - ص3، www.med elomari.com تاريخ الزيارة 2007/08/03.

5- ليست نتائجه ملزمة. [1]

ولعل هذه الملامح التي تميز الحجاج عن البرهان هي التي تجعل منه فنا بلاغيا بالضرورة .

بناء على ما سبق يمكن القول أن البرهان يتعلق بالمنطق، أما الاستدلال فهو أعم يشمل البرهان والحجاج معا، بمعنى أن هناك استدلال برهاني وآخر حجاجي.

III .الخطاب الحجاجي وسماته :

1.طبيعة الخطاب الحجاجي:

يعتبر الخطاب الحجاجي جـوهر العمليـة التواصليـة الإبلاغيـة غايتـه «استمالة الرأي العام نحو فكرة معينة، هي هدف كل قائم بعملية الإقناع والتأثير ومن أجل ذلك ينصب اهتمام القائمين بالإقناع والتأثير على أفضل السبل وأقلها كلفة ووقتا وجهدا في الوصول إلى تغيير اتجاهات الرأي العام أو بناء اتجاهات جديدة، أو تعديلها، أو لفت انتباه الجمهور نحو قضية معينة»[2].وهو ما يفسر أن المحاجج يتكلم بقصد التأثير والاقناع.

يتعدد الخطاب الحجاجي بتعدد الأهداف والأغراض المتوخاة منه فهناك الإشهاري الذي يستهدف استمالة الزبون (السلعة المادية والمعنوية) باعتبار أن « الحجاج والإشهار، بوصفهما عمليتين لسانيتين وعقليتين، تعتمدان مبدأ استمالة الآخر، وترويض مشاعره وفكره تمهيدا لتعديل سلوكه ومواقفه العامة من الأشياء المادية والفكرية المشكلة لرؤية العالم عنده، مع تبيان أنواع الحجج، وكيفية بنائها وترتيبها في الخطاب الاشهاري تحقيقا للترابط النصي وتفسير بنياتها...وفي هذا

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة -بنيته وأساليبه-سامية الدريدي-ص27-28.

[2] الإقناع الاجتماعي -خلفيته النظرية وآلياته العملية -عامر مصباح-الجزائر -ديوان المطبوعات الجامعية -ط2-2006-ص9.

السياق يمكن تحديد كفاءة الخطاب الإشهاري وقوته الانجازية من حيث هو فعل كلامي كلي مقامي»[1].

فالخطاب الإشهاري يتصل بالحياة الإنسانية بالنظر إلى قيمته الاجتماعية والأخلاقية والحضارية والتجارية والثقافية، ذلك أن الإشهار بناء لغوي دال يهدف إلى الإقناع،فهو ذو بعد تأثيري قائم على الترويج للأفكار والسلع، فالعملية الإشهارية في صميمها فعل اجتماعي اقتصادي.

وهناك الخطاب العلمي الذي يهدف إلى تبليغ الأفكار المختلفة عن طريق الشرح والتحليل وصولا إلى البيان والتبيين أو (الفهم والإفهام). بلغة الجاحظ الذي حده بقوله: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهَتَكَ الحُجُبَ دون الضمير،حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل. لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[2]. فالجاحظ بسط مفهوم البيان الذي يتحقق بواسطة الخطاب، بمختلف آلياته اللغوية المستعملة من طرف المرسل لإقناع المتلقي بها.

وهناك الخطاب الإعلامي، وغايته الإخبار أو« نشر معلومات (حقائق أو مبادئ أو مجادلات أو إشاعات أو أنصاف حقائق أو أكاذيب) وفق اتجاه معين من جانب فرد معيـن أو جماعة في محاولة منظمـة للتأثير في الرأي العـام، وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات باستخدام وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير»[3]. ويسعى بدوره إلى التغيير في مواقف المتلقي وأفكاره.

---

[1] الخطاب الإشهاري والقيمة الحجاجية –. www.google.com /search (لم يذكر صاحب المقال)تاريخ الزيارة 2007/08/03.

[2] البيان والتبيين –الجاحظ–تحقيق درويش جويدي–لبنان–المكتبة العصرية –2001–ج1–ص56.

[3] الإقناع الاجتماعي –عامر مصباح–ص32 .عن علم النفس الاجتماعي –حامد عبد السلام زهران–القاهرة –عالم الكتب –1984–ص362.

أما الخطاب الحجاجي الذي يوسم «بكونه نصا مترابطا متناغما يقوم على وحدة معينة لا تكون بالضرورة واضحة جلية بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه»[1]؛ إضافة إلى ذلك قد نجد بعض الخطابات الحجاجية لايمكن تصنيفها داخل تخصص ما وتظهر هي الأخرى في شكل نصوص متماسكة ومتناغمة.

يتأسس الخطاب الحجاجي على مجموعة من الحجج غايتها الإقناع وذلك ما ذهب إليه"فينو Vignaux" حينما اعتبر أن :« الخطاب الحجاجي خطابا غائيا، وينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيا بالضرورة، لأن هناك خطابات ذات غاية شخصية خاصة لا تهدف إلى إقناع الآخر، كالخطاب الشعري، وبعض أنواع السير الذاتية والمذكرات والكتابات الحميمية، أمثلة لخطابات غائية ليست حجاجية».[2] فمن ثم حاول" فينو Vignaux " اعتمادا على مفهوم الغائية أن يرسم مجموعة من التصورات والافتراضات، تتعلق بتصوره للمتلقي، مركزا في ذلك على المنطق الطبيعي، وبالاعتماد على المفاهيم التي طرحها "كريز Grize "وكان ذلك انطلاقا من المفاهيم التي طرحها كريز في تصوره للنظرية الحجاجية وتتمثل هذه الافتراضات فيما يأتي[3]:

1- تكون الخطابات الحجاجية الغائية منبثقة من قضايا أو أطروحات تكون استدلالا، وتُتَرْجِم بكيفية مباشرة أو غير مباشرة موقف الخطيب من إثباتات وأحكام وانتقادات.

2- تحيل دائما في مضمونها على عنصر آخر وُسِمَ أم لم يوسم في الخطاب (فرد، مجموعة، حالة اجتماعية، رأي عام...).

3- يتحدد الخطاب الحجاجي إذن بكونه يَسم موقف الخطيب اتجاه موضوع أو مجموعة من المواضيع؛ وهو موقف يحدد مكانة الخطيب داخل التشكيلة الاجتماعية ،ويتحدد دائما بالآخر كمرجع تحديدي.

---

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم –من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي –ص26.

[2] النظرية الحجاجية– محمد طروس –ص90.

[3] ينظر المرجع نفسه –ص91و92.

4- يتحدث الخـطاب الحجاجي عن كائن إحالي يوجد على خارج الخـطاب، ويتكون الخطاب الحجاجي من أشياء تتعالق فيما بينها بمؤشرات مادية أو مكانية أو زمانية. كما يتحدث عن مواقف وآراء ومعايير تمثل تيارات أو أنساقا من القيم ،وعن سلوكات عامة أو مرتبطة بأوضاع خاصة، تعبر عن علاقة الأفراد أو المجموعات بالمعايير الاجتماعية.

2.سمات الخطاب الحجاجي:

انطلاقا من هذه التصورات يتراءى لنا أن الخطاب الحجاجي كخطاب متميز يختلف عن بقية الخطابات الأخرى. وقد حاول بعض الدارسين تحديد ورصد سماته المائزة، ومن ذلك ما قام به "بنوا رونو Benoit Renaud "من خلال كتابه"النص الحجاجي Le Texte Argumenté " حيث استخلص الميزات التالية :

1.2.القصد المعلن :

المقصود به البحث عن إحداث تأثير ما في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يسميه طه عبد الرحمان بالإقناعية والتي عدها من شروط التداول اللغوي وفي ذلك يقول: «فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تَدْرُج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور»[1]

فالفكرة التي أورده طه عبد الرحمن يعبر عنها اللسانيون بالوظيفة الإيحائية (conative) للكلام. كما« تكمن السمة القصدية للحجاج في تحديد العلاقة الحجاجية.حين نعتبر العبارة (س) موجهة لخدمة(ج)، تتحقق السمة القصدية»[2]. وقد أدرك رجال الإشهار أهمية هذا الأمر ونجحوا في استغلال هذا الشكل الناجح من أشكال التواصل[3]. الأمر الذي يجعل كل مرسل للخطاب يسعى إلى توظيف القصد المعلن مثل رجال السياسة، ورجال الإعلام وغيرهم.

---

[1] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام –طه عبد الرحمن–ص38.

[2] النظرية الحجاجية –محمد طروس–ص110.

[3] ينظر الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية الدريدي –ص26.

2.2.التناغم :

يعتبر التناغم من أهم الخصائص التي تميز الخطاب الحجاجي عن الخطابات الأخرى باعتباره خطابا مُسْتَدَلٌّ عليه، فهو«يقوم على منطق ما في كل مراحله، ويوظف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات. سواء تعلق الأمر بالفتنة(l'envoûtement) أو الانفعال(l'émotion) أو إحداث مجرد تقدم(progression) وهو ينم من هذا الوجه عن ذكاء صاحبه ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدراته وآفاقه»[1]. فالخطاب الحجاجي هو خطاب مترابط متناغم، يقوم في أساسه على أطروحة ظاهرة أو خفية.

3.2.الاستدلال :

يعتبر الاستدلال سياق الخطاب الحجاجي العقلي أو تطوره المنطقي، لأن الخطاب الحجاجي يقوم على البرهنة لذا يتوجب أن يكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة. ومفتاح هذا النظام لِسَانِيٌّ بالأساس ذلك أن الخطاب الحجاجي في أبسط صوره هو ترتيب عقلي للعناصر اللغوية يستجيب لنية الإقناع. وهو ما يسميه طه عبد الرحمن بالاستدلالية[2].

4.2.البرهنة :

وهي الطريقة التي توظف فيها الحجج لحمل المتلقي على الإذعان. « وإليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها»[3]. وبواسطتها يسعى المحاجج إلى تبليغ معارفه بأقل جهد وفي أقصر وقت.

---

[1] المرجع نفسه –ص62.

[2] ينظر في أصول الحوار وتجديد علم الكلام –طه عبد الرحمن–ص36.و اللسان والميزان أو التكوثر العقلي–ص289 و290.

[3] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي –ص27.

إضافة إلى الصفات المائزة التي ذكرها "بنوا رونو Benoit Renaud " توجد هناك سمات أخرى تسهم في رصد حدود الخطاب الحجاجي منها:

5.2.الحوارية أو التحاورية:

يعتبر طه عبد الرحمن الحوارية من مسلمات القياس الخطابية ويرى أن مقتضاها :«أنه لا كلام مفيد إلا بين اثنين، لكل منهما مقامان هما:مقام المتكلم ومقام المستمع، ولكل مقام وظيفتان هما:وظيفة المُعتقِد ووظيفة المُنتقِد، بحيث إذا كان المتكلم معتقدا كان المستمع منتقدا، وإذا كان المستمع معتقدا كان المتكلم منتقدا»[1]. ومن ثم فالحوارية لا تتحقق إلا بوجود متخاطبين تجمع بينهم معارف وخبرات مشتركة.

إن الخطاب الحجاجي في جوهره حوار بين باث ومتلقي، حوار يقوم على علاقة ما بين مؤسس الخطاب ومتلقيه، لأن«المحاور يتوجه إلى غيره مطلعا أياه على ما يعتقد وما يعرف، ومطالبا أياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه؛ وفي هذا "الاطلاع" وهذه "المطالبة" يكمن البعد الاجتماعي للحوارية»[2]. فالعلاقة بين المرسل والمتلقي تتخذ أشكالا عديدة يكشفها الخطاب الحجاجي ذاته، باعتباره يراهن أحيانا كثيرة على إقناع أكبر عدد ممكن من المتلقين بما جاء فيه، بل قد يطمح أحيانا إلى إقناع ما يسمى بـــ "المتلقي الكوني"[3].

6.2 التخطيط Schématisation :

وتتمثل في الإعداد سلفا لكيفية بناء النص الحجاجي وفق معايير معينة، فحينما نحتج «لموضوع ما أو لأطروحة معينة يعني أننا نرسم عن طريق الخطاب كونا مصغرا يمثل النموذج الأمثل لوضعية ما، لكن دون أن يعكس مقتضيات البناء العلمي مع الاعتماد أساسا على بعد حواري»[4].أي لابد من التزام سلمية معينة في

[1] في أصول وتجديد علم الكلام –طه عبد الرحمن–ص99.

[2] المرجع نفسه –ص37.

[3] ينظر الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية الدريدي –ص28.

[4] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية الدريدي –ص30.

عرض القضية المطروحة والعناصر المكونة لها في الخطاب الحجاجي. ويتضح ذلك بشكل جلي في الخطاب الاشهاري الذي يهدف إلى استمالة الزبون بغرض إقناعه بالعرض المقدم.

7.2.الانتقاء أو الانتقائية:

تعتبر الانتقائية مهمة في تحقيق الفاعلية الاقناعية، باعتبارها انتقاء لمكونات الخطاب، والتي ينتهجها المحاجج في بناء خطابه، وتتمثل في « انتقاء العناصر المكونة لهذا العالم بشكل دقيق وموجه أي بشكل يساير فيه تلك العناصر المنتقاة غاية الخطاب من جهة، وتلائم وضع المتلقي وقدراته وتستجيب خاصة لآفاق انتظاره من جهة أخرى»[1]. وعلى المحاجج أن يكون دقيقا في اختياره للمؤشرات التي تمكن المتلقي من التأويل السليم للطرح المقدم.

---

[1] المرجع نفسه–ص30.

8.2.الغائية :

يعتبر الخطاب الحجاجي خطابا غائيا، وهو ماتوصل إليه"فينو Georges Vignaux" من خلال كتابه "الحجاج ،محاولة في منطق الخطاب 1967" غير أنه ينفي أن يكون كل خطاب غائي حجاجيا بالضرورة، لأن هناك خطابات ذات غاية شخصية خاصة كالشعري، والمذكرات، والسير الذاتية، وغيرها. أما على مستوى الخطابات الحجاجية فالأمر يختلف، لأنها تسعى إلى الإقناع لا السرد أو الإبلاغ فقط. « فمن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي». فالغاية من الحجاج هي تعديل أو تغيير فكرة أو حكم لدن الآخر.

تسعى كل هذه السمات إلى تميز النص الحجاجي عن بقية النصوص الأخرى،و تسهم في بنائه لأن غايته إجبار المخاطب نمطاً معيناً من النتائج بغرض الإقناع.

3. الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه:

يتحقق الخطاب الحجاجي بين مرسل ومتلقي، وما يسهم في تحقيق أغراضه يشكل بَيّن هي المعارف والخبرات المشتركة بين المتخاطبين؛ فالخطاب الحجاجي وهو يعرض فكرة ما ويحتج لها احتجاجا« قد يكون صارما دقيقا، وقد يفتقر أحيانا إلى الصرامة والدقة المنشودتين، إنما يهدف كما رأينا إلى إقناع المتلقي أو إغرائه أو حملة على الإذعان دون اقتناع حقيقي، ونجاعة هذا الخطاب إنما تكمن في مدى قدرته على اقتحام عالم المتلقي وتغييره»[1]. وتعتبر أفكار" بيرلمان Perelman " في هذا المجال مهمة جداً لأنه في تناوله لمسألة الحجاج أكد خاصتي "التفاعل" (Interaction) و"التحاور" (Dialogique) في كل الخطابات الحجاجية[2]. وتجدر الإشارة إلى أن المتخاطبين ليسوا على درجة واحدة بل هم

---

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية دريدي– ص.32.

[2] ينظر الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية دريدي– ص.32.

يختلفون في التكوين المعرفي والاجتماعي، لذا وجب التفاعل وإقامة الصلات فيما بينهم، «فقد يكون المرسل إنسانا مركزا حول ذاته، ويعتـــقد أن ما هو بديـــهي وواضح بالنسبة له، هو كذلك بالنسبة للطرف الآخر، أو أن ما هو مقبول منه يحظى بالضرورة برضى الطرف الآخر. أو يظل في قوقعته لا يرى سوى جدرانها الداخلية مما يمنعه من تقدير وضع المستمع وحاجاته ومواقعه تقديراً جيداً حول ما يتم الحوار بشأنه»[1]. ومن ثم وجب مراعاة السياق الاجتماعي المشترك بين المتخاطبين.

فالخطاب الحجاجي مشروط إذاً بمراعاة انسجام بنيته الحجاجية واتســـاقها، وكذا اختيار الحجج وألفاظها المؤثرة في فاعلية الإقناع، وهو ما أكده عبد القاهر الجرجاني في قوله: «وأنه لو عمد عامد إلى الألفاظ فجمعها من غير أن يراعي فيها معنى ويؤلف منها كلاماً، لم تر عاقلاً يَعُدُّ السهولة فيها فضـــيلةً، لأن الألفـــاظ لا تراد لأنفســـها وإنما تراد لتُجْـــعَلَ أدلةً على المعـــاني »[2]. فالجرجاني يشترط في بناء الخطاب، وخاصة الحجاجي المقصود منه بلوغ غاية معينة، اختيار الألفاظ الدالة على المعاني الموجودة في نفسية المرسل لإيصالها بأسهل طريقة ممكنة إلى نفسية المرسل إليه، وهو ما يؤكد حسن الانتقاء وسلامة الاختيار إن على مستوى اللفظ أو الفكرة.

ولكي يحقق الخطاب الحجاجي غايته ومقبوليته لابد من توافر فيه جملة من الشروط هي بمثابة مقومات التناغم الضروري فيه، وهي ثلاثة [3]:

– القبول La Recevabilité :

لكي يتم انخراط المتلقي في العالم الذي يرسمه الخطاب، فعلى الباث أن يضمن أولا عملية التلقي ذاتها، ولا يتم ذلك إلا إذا وجد المتلقي في الكلام شكلا مقبولا ففهمه وقبله .

---

[1] الاقناع الاجتماعي –عمار مصباح –ص32.

[2] دلائل الإعجاز –عبد القاهر الجرجاني –لبنان – دار المعرفة –ط3 –2001– ص343.

[3] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة –بنيته وأساليبه – سامية الدريدي–ص37.

– مشابهة الحقيقة La Vaisemblence :

إن العالم المعروض في الخطاب ينبغي أن يكون متصوراً، وأن تكون أشياؤه قابلة للتحديد، وعلاقاته محتملة تطابق ما يحمله المتلقي من تصورات حول الواقع على مستوى الممكن والمستحيل .

– الإقرار Acceptabilie:

إن الغايات والمواضيع والقيم التي يرسمها الخطاب ويعتمدها، يمكن للمتلقي تحديدها في مقام أول ثم إقرارها والاقتداء بها في مقام ثان.

وأخيرا فإن تحقيق هدف الحجاج يرتهن بمدى الائتلاف الثلاثي للعملية التواصلية، إذ يجب:

1- أن يكون الخطاب الحجاجي متسقا منسجما قائما على حجج متماسكة تدريجيا بغرض التأثير والإقناع.

2- على المرسل أن يكون ذا كفاءة إبلاغية تمكنه من حسن الانتقاء وسلامة الاختيار للألفاظ والأفكار[1]، وكذا التقنيات التي تمكنه من التعامل مع مختلف المتلقين على اختلاف مستوياتهم المعرفية والاجتماعية.

3– أن يمتاز المتلقي باعتباره الحامل للخصائص الجماعية الكبرى التي يتقاطع فيها السواد الأعظم. بفكر تأويلي يؤهله لتقصي مقاصد المرسل باعتباره المستهدف من الممارسة الحجاجية[2] .

[1] Voir L'argumentation dans la communication –Philippe breton –p18.
[2] Ibid-p18.

4.الحجاج والمقام :

يُعَدُّ المقام مصب كل خطاب حجاجي، ذلك أنه يمثل «البؤرة التي تلتقي فيها جميع العناصر الحجاجية من مقدرات برهانية وحقائق فعلية وقرائن بلاغية وقيم بشتى أقسامها، وعلاقة هذه القيم بمراتب الكائنات والأشخاص المعنيين بخطاب ما»[1]. فدوره فعال وأساسي في الخطابات الحجاجية، «والخطاب الحجاجي لا يختصر فقط في سلسلة عمليات منطقية وسياق التفكير، بل إنه يُركَّب انطلاقا من المعطيات التي يمنحها التعبير على مستوى الاختيارات المعجمية التي تكتسي وجهة حجاجية»[2] الأمر الذي جعل اللغويين العرب القدامى يجعلون المقام من الأولويات التي يجب مراعاتها بين المتخاطبين لتحقيق التواصل الناجح. «فلقد كان نحو سيبويه –على سبيل المثال– نحو مقام بالدرجة الأولى، فهو يُقَنِّنُ العبارات التي تلفظ بها العرب، ويورد أوجهها المختلفة، وما يجوز في عناصرها من حذف وذكر، أو تقديم وتأخير، من منطلق الموقف الذي تنطق فيه، ولا شك أن مثل هذا التصور هو الذي كان يوجه الجاحظ في سعيه للكشف عن مستلزمات البيان والتبيين، وهو الذي أسس في ضوئه عبد القاهر الجرجاني نظريته في النظم؛ إذ ما النظم عنده إلا توخي معاني النحو فيما بين الكلمة على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام»[3]. وهو ما يؤكد أن المقام عند العرب كان يحتل مكانة هامة في مختلف الدراسات اللغوية.

كما كانت العرب تستشهد للمقام بالمقولة الشهيرة« لكل مقام مقال»[4]. ومن ثم توصل الباحث "عبد الخالق رشيد" في مقاربته للمصطلحات المتعددة لمفهوم المقام كالحال والسياق وغيرها إلى أن: الحال أخص من المقام، والمقام أعم باعتبار أن الحال متولد من المقال«ولعل هذا الاضطراب الناتج عن اعتماد ثنائي لوصف

---

[1] مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة–محمد سالم ولد محمد الأمين–مجلة عالم الفكر–مج28–العدد3 –يناير –مارس–2000–ص 83.

[2] L'argumentation Dans Le Discours Ruth Amossy.p23.

[3] العدول عن مقتضى الظاهر في الخطاب القرآني مقاربة أسلوبية–عبد الخالق رشيد– رسالة دكتوراه –جامعة وهران–2007–ص05.

[4] البيان والتبيين –الجاحظ–تحقيق عبد السلام هارون –مصر–مكتبة الخانجي–ط3–1968–ج1–ص136.

الظاهرة الواحدة،هو الذي حذا بالباحثين المعاصرين إلى تفضيل المصطلح الغربي"سياق الموقف Contexte De Situation " ذي الطبيعة المرنة، المشكل من ملابسات الموقف الذي ينتج فيه الكلام، يكل ما يتسع له مصطلح الموقف من أبعاد زمكانية وخلفيات حضارية وإفرازات ثقافية»[1]. لأن سياق الموقف يحمل طابعا تداوليا وهو ما أكدته "فرانسواز أرمينكو Françoise Armingaud " في قولها: « ويتميز " الموقف" بالاعتراف به اجتماعيا كمتضمن لغاية أو غايات وعلى معنى ملازم تتقاسمه الشخصيات المنتمية إلى الثقافة نفسها.وبهذا تتدرج الممارسات الخطابية في مواقف محددة ضمنيا تارة وتارة من خلال إعلان خاص»[2].الأمر الذي يجعل مصطلح سياق الموقف باعتباره مجموع الآراء والقيم والحكم التي يتقاسمها المتخاطبون[3] يشاكل مفهوم المقام عند العرب.

فكل قول منجز يسعى لتحقيق فاعليته التأثيرية، ولا يتم ذلك إلا في سياق معين، لأن في كل موقف تواصلي تداولي يوجد شخصان على الأقل أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان« فكل سياق هو عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث»[4]. وهو ما يفسر الاختلاف في المواقف زمانيا ومكانيا.

انطلاقا من هذه المفاهيم حاول "بيرلمانPerelman " تقديم تصورين أساسيين للمقام، فهو تارة الإطار المحدد للخطاب المستوعب لكل محتويات العملية الإبداعية ، ولكل المشاركين فيها، وهو أخرى تلك المقدمات ذات النظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج وترتيب القيم[5].ويسلم"ماير Meyer" بوجود سياق قولي يختلف عن السياق العام، أو السياق الخاص الذي يعتبره عنصرا من العناصر التواصلية، كما هو الشأن لدى أصحاب التداولية الأولى؛ ،فالسياق بالنسبة"ماير Meyer"« يتداخل مع القول بشكل متفاعل إذ لا يمكن فصل أحدهما عن

---

[1] العدول عن مقتضى الظاهر في الخطاب القرآني مقاربة أسلوبية–عبد الخالق رشيد–ص.4.

[2] المقاربة التداولية – فراسواز أرمينكو – ت.سعيد علوش –المغرب –مركز الإنماء القومي –ص48.

[3] VOIR L'argumentation dans la communication –Philippe breton –Alger –casbah édition -1998-p18

[4] النص والسياق– فون داك–ترجمة عبد القادر قنيني – المغرب –إفريقيا الشرق –2000–ص258.

[5] ينظر مفهوم الحجاج وتطوره عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة –محمد السالم ولد الأمين –ص85.

الآخر، فالقول يترجم الاختلاف الإشكـــالي الذي يرتبـــط بالسياق، والسياق يعكس مضمون وشكل القول»[1] وقد مثل لذلك بالمثال الآتي :

-ما أجمل الجو!

فهو يرى أنه في حالة غياب المعلومات الضرورية من لدن المتلقي، فإن القول يكون واضحا بمعنى التعجب، أما إذا كان السياق محفوفا بالمعلومات المتنوعة، فإن القول يقبل درجات التأويل المختلفة للوصول إلى المعنى، وهو ما يؤدي إلى تعدد الافتراضات داخل السياق بصورة ناجحة. فالحجاج بوصفه فعلا خطابيا غائيا « يتنزل في سياق اجتماعي واقتصادي وسياسي وإيديولوجي، وبهذا فهو يندرج ضمن نظم متعددة كالمنطق والفروع المختلفة من دراسة اللسان والأنظمة الرمزية (لسانيات وتحليل النصوص والخطابات والدلالية) وعلم النفس وعلم الاجتماع التربوي والتواصلي، وهو ما يفترض في المحتج ثقافة واسعة تجعله قادرا على النفاذ إلى عالم المتلقي والفعل فيه بتغيير آرائه ومواقفه»[2]. فالحجاج كفعل تواصلي يحقق غايته داخل سياق يتقاطع فيه المرسل والمتلقي معا.

وقد استدلت الباحثة "سامية الدريدي" بقول لـــ "سيسرون Cicéron "وهو أحد رواد البلاغة التقليدية في كتابه "في الخطيب" يقول فيه « لابد من معارف شائعة جدا، بدونها يغدو فن القول مجرد كلمات متراكمة تراكما مضحكا وغير ذي جدوى»[3]. فسيسرون يشير إلى أن الظروف العامة التي يُنْتَجُ الخطاب في خضمها تتمثل في المعارف المشتركة والمدركة سلفا بين المتخاطبين.

وأخيرا يمكن القول أن التصورين اللذين قدمهما "بيرلمان perelman " يعدان نظرية مقامية «تتلخص في ضرورة مراعاة جملة من العلاقات الحتمية بين المقام والمخاطبين والسامعين وأنواع القيم ومراتب الكينونة والثقافة والحضارة وآفاق

---

[1] عندما نتواصل نغير –عبد السلام عشير– ص200.

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة –بنيته وأساليبه –سامية الدريدي –ص42.

[3] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة –بنيته وأساليبه – سامية الدريدي – ص42.
عن. DE L'orateur ,cicéron , marcus tullius , traducteur .E.courbaud les belles lettres ,1967.volum 1 .p9

انتظار المعنيين وتأثير ذلك على فكر المتكلم(المبدع) وعلاقة ذلك كله بوصفه كائنا بما ينبغي أن يكون. وكان قد أعطى دورا مهما لجوانب التقييم والتوقعات المحتملة في تحقيق إنجازية الخطاب الحجاجي كفعل لغوي»[1]. ومن ثم نصل إلى أن السياق يمثل مجموعة الظروف والملابسات المشتركة بين المتخاطبين التي يتأسس في ضوءها الخطاب الحجاجي.

VI.تقنيات الحجاج ونظرية السلالم الحجاجية:

تكتسي تقنيات الحجاج أهمية بالغة في الدرس اللساني التداولي باعتبارها الآليات والمفاهيم المكونة للبنية الحجاجية ولكي تتحقق هذه التقنيات هدفها التواصلي لابد من ترتيبها ترتيبا منطقيا يؤهلها للمقبولية من طرف العقل والتدرج في تسلسل الحجج، وهو ما تناولته نظرية السلالم الحجاجية.

1.تقنيات الحجاج (أنواع الحجج):

تشكل الآليات الحجاجية أساس بناء النص الحجاجي، لأن« التخاطب يُبْنَى على شيئين أساسيين هما "التواصل"و"التعامل"»[2]. ومن ثم يتوجب على المتخاطبين اختيار الحجج المناسبة للسياق الذي يحف الخطاب، وكذا طريقة بنائها، لأن «دلالة الخطاب الحجاجية لا تتوقف على الظاهر من المرفوض فحسب، بل يمكن أن يكون الحجاج بالخطاب التلميحي أيضا، لأن النص كما يقول أبو حامد الغزالي " ضربان: ضرب هو نص بلفظه ومنظومه [...]، وضرب هو نص بفحواه ومضمونه»[3]. ولابد لكل خطاب أن يعتمد على الاستراتيجيتين حتى يتسنى للمتخاطبين تحقيق التواصل فيما بينهم، وإذا كانت كفاءة المرسل التداولية تتجلى في بناء خطابه وفق سلم حجاجي معين فإن كفاءة المرسل إليه تكمن في كيفية تأويل الخطاب لإدراك حجج المرسل ومقاصده، ذلك أن« بناء النص الحجاجي – استراتيجية وعمليات تكتيكية- تتشكل

---

[1] مفهوم الحجاج عند بيرلمان- وتطوره في البلاغة المعاصرة -محمد سالم ولد محمد الأمين-مجلة عالم الفكر – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -دولة الكويت -مجلد 28-العدد03- يناير مارس 2000-ص87.

[2] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي – طه عبد الرحمن -ص254.

[3] استراتيجيات الخطاب -عبد الهادي بن ظافر الشهري -ص476.

عن طريق تفاعل مكوناته الداخلية (استدلال وآليات ومفاهيم ...) والخارجية (وقائع إنسانية ،تجربة، أسباب ومسببات...) وهي عناصر ضرورية ...لكنها غير كافية لفهم وتحليل القول الحجاجي، ذلك لأن الحجاج يطرح إشكالات أخرى ترتبط بطبيعة أشكاله وأنواع حججه وطرق توظيفها»[1]. فكل خطاب حجاجي يبنى أساسا على مجموعة من الحجج.

لقد حاول"عبد السلام عشير" أن يطرح هذه الإشكالات من خلال مجموعة من الأسئلة ترتبط بطبيعة المجموعة الحجاجية للقضايا الأساسية وبالمسار الذي يأخذه الحجاج لبناء الاستدلال واختيار الحجج في بناء النص؛ وتتمثل هذه الإشكالات في: « ما هي طبيعة الميكانزمات والقواعد التي تجعلنا نحكم على صحة الحجاج وطبيعة أشكاله؟. هل يتعلق الأمر فقط بتطبيق صارم للاستدلال الصوري المنطقي؟. أم يتعلق الأمر بمراعاة قواعد خارجية للدفاع عن الرأي أو الانتصار لفكرة أو تبكيت أطروحة؟. فما هي إذن هذه القواعد ؟- وما هي طبيعة وأنواع الحجج التي يوظفها الحجاج لكي يكون صائبا وصحيحا؟. هل هناك نظرية جديدة تعالج الحجاج من منظور الصحة والخطأ؟»[2].

من خلال هذا الطرح لإشكاليات الحجاج حاولنا أن نقف على أهم التقنيات المشكلة للبنية الحجاجية، ذلك أن الخوض في بنية أي خطاب حجاجي «يعني بالضرورة النظر في مختلف الحجج التي وظفها المحتج لغاية الإقناع أو الحمل على الإذعان»[3]. وهو ما يستدعي تبيان هذه الحجج وتصنيفها وإبراز مدى تباينها، خاصة في دواعي اختيار صنف منها دون آخر مع أنها تحتوي في مضمونها حججا فرعية تشترك في طبيعتها وبنيتها العامة وتباين في جزئياتها وقد أفضى البحث في جزئياتها إلى استخلاص ثلاث بُنَى حجاجية هي[4]:

[1] عندما نتواصل نغير-عبد السلام عشير -ص157.

[2]المرجع نفسه -ص157

[3] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه،سامية الدريدي -ص181.

[4] المرجع نفسه -ص190

1. حجج شبه منطقية Arguments Quasi -Logiques
2. حجج تؤسس على بنية الواقع . Argument Fondes Sur La Structure Réel
3. حجج تؤسس لبنية الواقع Argument Fondant La Structure du Réel

1.1.الحجج الشبه منطقية Arguments Quasi -Logiques:

هي كل الحجج التي تقوم على عدم الالتزام؛ أي أن نتائجها تكون نسبية وغير حتميةٍ،إلا أن كل حجة منها «تستند إلى مبدأ منطقي كالتطابق والتعدية أو التناقض... ولكنها خلافا للحجج المنطقية الخالصة يمكن أن تُردّ بِيُسْر بدعوى أنها ليست منطقية»[1]. وهو الأمر الذي أكده "ر.بلانشي" بقوله «إن البرهنة الصورية هي إ ما صائبة أو خاطئة، ليس هناك حالة وسط. فحينما تكون صائبة فإنها تكتفي بنفسها، ليست هناك حاجة للزيادة...وعلى العكس من ذلك فإن الحجاج لا يتمتع بهذه الضبط الإلزامي... إن صلاحيته ذات درجات: إنها قوية من قليلا أو كثيرا ...وهي لا تكون مغلقة أبدا: بالإمكان دوما استهداف تقويتها بمراكمة حجج موافقة »[2]. وهو ما يؤكد اختلاف الاستدلال البرهاني المنطقي عن الاستدلال الحجاجي. وقد اعتبر البلاغيون هذه الحجج شبه منطقية« لكونها قابلة للانبثاق من مجال المنطق الصوري»[3].ومن مظاهرها:

أ.التناقض وعدم التناسب :

أي بإمكان هذه الحجج أن تؤكد قضية وتنفيها في خطاب لغوي داخل سياق لغوي معين، مثال ذلك مقولة هيراقليتس« إننا ندخل ولا ندخل إلى "نفس النهر" مرتين »[4]؛ فظاهر القول يبين أن هناك تناقض فيه، لأن التأويل بطريقتين مختلفتين لعبارة" نفس

---

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة – بنيته وأساليبه–سامية الدريدي –ص191.

[2] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية– محمد الولي – ص376 عن. l'argumentation ,pierre Oléron p35.-1983-paris -PUF

[3] النظرة الحجاجية –محمد طروس –ص26

[4] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية– محمد الوليد –ص376

النهر" تجعل الإثبات صادقا مع التأويل الأول والنفي مع التأويل الثاني.وقد أشار المبرد إلى مثل هذا التناقض بقوله[1]: وقال محمود:

تعصي الإله وأنت تظهر حبـــه   هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صـــادقا لأطعتـــه   إن المحب لمن يحب مطيع.

فطاعة الله تعالى لا تتحقق إلا بالإخلاص في حبه، وإظهار الحب بدون طاعة تناقض في حد ذاته، وهذا ما لا نجده داخل نسق المنطق الصوري، الذي تكون نتائجه ملزمة وغير متناقضة.

ب.الهوية والتحديد والدور :

تتمثل التحديدات في الدلالات المتنوعة للكلمة في اللغة الطبيعية. وقد تتحول هذه الدلالات إلى النقيض مع تحقيق التفاعل الدائم للألفاظ فيما بينها، ذلك أن خاصية اللغة الطبيعية البارزة تكمن في« هذا التنوع المدهش للتحديدات التي يمكن أن تقدم لنفس اللفظ، فلنتأمل لهذه العبارة :" الفقر في الوطن غربة والغني في الغربة وطن"؛ هذا التعريف للغربة وللوطن يتحولان إلى الدلالة على النقيض»[2].وهناك عبارات دورية تعد تحديدية كذلك، مثل قولنا« المرأة هي المرأة والدرهم هو الدرهم»[3]؛ فالمعنى الأول للكلمة ليس هو المعنى الثاني لها، لذلك أنها دورية من حيث اللفظ لا المعنى، فإذا تحقق ذلك منطقيا فقد لا يتحقق حجاجيا.

ج. حجج التعدية والتضمن والتقسيم :

تتجلى التعدية في المنطق الصوري فيما أكده "روبريو Robrio "، فالتعدية بحسب ما ذهب إليه «تنتمي إلى صنف الاستدلالات الرياضية، لتستفيد من صرامتها في المجالات الخلافية»[4].وتمثلها الصيغة التالية:

إذا كانت هـــ=و وكانت و=ن فإن هـــ=ن .

---

[1] الكامل –المبرد –لبنان –دار الفكر –ج2 –ص03.

[2] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية،محمد الولي –ص378.

[3] المرجع نفسه – ص379.

[4] النظرية الحجاجية–محمد طروس–ص31.

أما حجة التضمن فمبدأها« أن ما يصدق على الكل يصدق أيضا على الأجزاء...وإذا كان المنع يشمل الكل، فمن البديهي أن يشمل بشكل أقوى الجزء ».[1]مثال ذلك نظرة النحويين البصريين إلى قضية اشتقاق الفعل من المصدر الذين« ذهبوا إلى أن المصدر هو الأصل وأن الفعل مشتق منه وفرع عليه»[2] وهم بهذا نظروا إلى جهة المعنى لأن المصدر يدل على الحدث وحده ،عكس الفعل الذي يدل على الحدث والزمن. و حجتهم في ذلك تتمثل فيما يلي[3]:

1.أن المصدر سمي كذلك لأن المصدر لغة هو: الموضع الذي تصدر عنه الإبل، فلما سمي مصدرا دل على أنه قد صدر عنه الفعل.

2.إن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للقيد فكذلك المصدر أصل للفعل.

أما حجة التقسيم فقوامها تقسيم الكل إلى أجزاء، واعتبار كل واحد من هذه الأجزاء بغاية الإقناع بقضية تتعلق بالكل ومِثلُ ذلك الطالب الذي يتحصل على نتائج جيدة في مختلف المقاييس التي يمتحن فيها، فهو سيحقق بالضرورة النجاح في نهاية السنة الدراسية[4].

د.التسوية والتناظر :

إن حجة التسوية تقوم على قاعدة العدل التي مفادها أن كل الناس متساوين أمام القانون، وأن لا يعذر أحد بجهل القانون؛ أي إن المساواة في الأحكام واجب وجود بين الجاهل والعالم، وأن الناس سواسية كأسنان المشط كما نص الحديث النبوي الشريف.

أما التناظر فيقوم على التشبيه ويتحقق بين حالتين أو كائنين تربطهما علاقة مماثلة. مثال ذلك ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم:« لا يؤمن أحدكم حتى يحب

---

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية–محمد الولي –ص380

[2] مدخل إلى فقه اللغة العربية–أحمد محمد قدور–لبنان–دار الفكر–ط3–2003–ص208.

[3] شبكة المعلومات العربية WWW.el-maqha.com تاريخ الزيارة

[4] ينظر الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية – محمد الولي – ص380

لأخيه ما يحب لنفسه»[1]. كما يتبين التناظر في توراة بني إسرائيل عندما فرض الله عليهم القصاص في شريعتهم ونظير ذلك في قوله تعالى: ﴿...

....

....﴾[2]. قال ابن كثير«وهذا أيضا مما وبخت به اليهود وقرعوا عليه، فإن عندهم في نص التوراة أن النفس بالنفس، وهم يخالفون حكم ذلك عمدا وعنادا»[3]. فالقصاص فُرِض على بني إسرائيل لِيُطبق بين اثنين متخاصمين، ويكون حق المظلوم مماثل لفعل الظالم.

هـــ.المقارنة :

تعتبر المقارنة مهمة في تقوية الحجة الشبه منطقية، إذ تقوم على المقارنة بين عدة أشياء بغرض تقويمها أو إعادة بنائها، كالمقارنة بين اللغة العربية واللغة العبرية- باعتبارهما لغتين ساميتين- بغرض توضيح أوجه التوافق والتباين من أجل معرفة الجذور الأكثر انتشارا، وكذا المقارنات العربية كالموازنة بين اللهجات. ومثال ذلك يتضح في المقارنة الآتية بين الأعداد في اللغتين العربية والعبرية:

واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة في العربية يقابلها:

إحاد شنايم شلوشا اربعا خمشة في العبرية .

و.الاحتمالات:

تتأسس الاحتمالات على« المنطق الكمي للإحصائيات أو على مبدأ النية الحسنة. ومن قاعدة (رأيان خير من رأي واحد) جاء قانون الأغلبية، الصيغة العادية لاشتغال الديمقراطية»[4]، بمعنى أن الحظوظ في تحقيق الفوز تبقى دائما احتمالية،

---

[1] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال-علاء الدين علي ابن حسام الدين المتقيالهندي البرهان فوري-تحقيق بكري حياني وصفوة السقا-مؤسسة الرسالة -ط5-1981-رقم الحديث96-باب في المجاز والشعب -الجزء الأول ص41.

[2] سورة المائدة -الآية 45.

[3] تفسير ابن كثير-ابن كثير-سوريا-دار القلم العربي-2004- ج2-ص65.

[4] النظرية الحجاجية -محمد طروس-ص33.

ذلك ما يتمثل في الانتخاب والاستفتاء إذ يقومان على صبر الآراء. وقد تكون النتائج عكسية، لأنها تقوم على مبدأ الاحتمال.

2.1.الحجج المؤسسة على بنية الواقع (المستندة على بنية الواقع) : Arguments Fondés Sur La Structure Du Réel

وهي الحجج التي تستند إلى الواقع وتتدرج في هذه المجموعة من الحجج« تلك التي تقوم على ترابطات قابلة للملاحظة في الواقع الذي ينظر إليه المتحدث»[1]. كما يُسمى هذا الضرب من الحجج بالحجج التجريبية« لأنها تقوم على الوقائع، وعلى تجارب ملاحظة أو معيشة»[2]، كما تقوم على روابط التعاقب من قبيل علاقة السبب بالنتيجة، أو بروابط التصاحب من قبيل علاقة الشخص بأفعاله. ومن مظاهرها:

-روابط التعاقب(التتابع) :

هي تلك الروابط القائمة بين الأفعال التي تنتمي إلى طبيعة واحدة والمعقودة برابط السببية أو المسببية تقديما أو تأخيرا، وعلاقة التأخير هي التي تسمى بـــ"الحجة البراغماتية "، وهي« بالنسبة إلى بينتام فإنها هي وحدها الحجة المفيدة حينما يتعلق الأمر باتخاذ معيار ما»[3]. ونظير ذلك أن الإنسان الذي يحب الله يجب عليه أن يكون مطيعا له، فطاعتنا لله سبحانه وتعالى يجب أن تكون حبا فيه لا خوفا منه.

ومن ذلك قول" جرير" في المدح[4]:

فَيَوْمٌ تَحُوطُ المُسْلِمينَ جِيَادُهُ وَيَوْمٌ عَطَاءٌ مَا تُغَبُّ نَوَافِلُهْ

وَلِلتُّرْكِ مِن عَبْدِ الْعَزِيزِ وَقِيعَةٌ وَلِلرُّومِ يَوْمٌ مَا تُتِمُّ حَوَامِلُهْ.

فجرير يربط الأحداث تتابعيا؛ عندما بين لنا أن أيام "عبد العزيز بن الوليد" جهاد ونضال متواصلان خدمة للدين والمسلمين، فهو يحمي المسلمين ويهبهم

---

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية – محمد الولي – ص385.

[2] النظرية الحجاجية –محمد طروس –ص33.

[3] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية – محمد الولي – ص386

[4] ديوان جرير–جرير–لبنان–دار صادر–د.ط–د.ت–ص349.

عطاياه، وبشدته وقوته يهزم الترك وينال من الروم في وقيعة تضع فيها كل ذات حمل حملها[1].

- روابط التزامن أو التواجد (التصاحب):

يقيم هذا الصنف من الحجج روابطه بين أحداث متباينة في الجنس وهو ما أكدته سامية الدريدي في قولها:« إن روابط التواجد تقيم رابطة بين وقائع منتمية إلى أجناس متباينة حيث تعتبر إحداها بمثابة التعبير عن ظهور الأخرى، مثال ذلك العلاقة بين شخص ما وروابطه وأفعاله .»[2]. وكنموذج لهذه الروابط إقرار السنة بأنواعها من لدن الرسول –صلى الله عليه وسلم –القولية والفعلية والتقريرية.

ومن خلال هذه المظاهر يتضح أن الحجج القائمة على بنية الواقع تتشكل في فضاء الأحداث المتعلقة بالواقع ولا تتعداها، وتتجلى في الربط بين أحداث الواقع المعيش عكس ما تمليه الحجج المُبَنْيِنَة للواقع.

3.1.الحجج المؤسسة لبنية الواقع (المُبَنْيِنَة للواقع) Arguments Fondant La Structure Du Réel:

تهدف هذه الحجج إلى الربط بين الأحداث المعيشة أو المتتابعة، فهي تجمع بين وقائع مترابطة زمانيا أو مكانيا أو رمزيا. و« تربطها صلة وثيقة بالواقع، ولكنها لا تتأسَّسُ عليه ولا تتبني على بنيته، وإنما هي التي تُؤَسِّسُ هذا الواقع وتبنيه، أو على الأقل تكمله وتظهر ما خفي من علاقات بين أشياءه، أو تجلي ما لم يتوقع من هذه العلاقات وما لم ينتظر من صلات بين عناصره ومكوناته»[3]. ويمكن التمثيل لهذا الترابط بما يأتي: "في هذا المنزل صراخ كثير، إذن به متخاصمين"، فههنا تلازم مكاني بين شيئين مختلفين، أو"هذا الشخص مصاب بسرطان الرئة إذن "كان يدخن"، وههنا تلازم زماني كان فيه توالي الأحداث بين لحظتين مختلفتين كذلك."وهؤلاء المتظاهرون يحرقون العلم الإسرائيلي"، إذن هم رافضون للكيان الصهيوني؛ فهذا

[1] ينظر الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية الدريدي–ص216.

[2] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –ص387.

[3] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–ص242

التلازم تلازما رمزيا.فهذا التعالق لا نخلقه ولكننا نستعمله بعد تناوله جاهزا من المجتمع، فالاستدلال هنا على الشيء بشيء آخر يرتبط به[1].

إضافة إلى الترابطات التشابهية فقد نعبر عن كرم "عمرو" فنقول :"عمرو كثير الرماد"؛أي كريم.

وعند الربط بين المتشابهات، يجب التمييز بين ما هو مجرد تسبيه وما هو شاهد كما يأتي:

1.الشاهد Illustration:

يتجلى دور الشاهد في تأكيد قاعدة معينة وإثباتها ويتحقق بين المتفقات في الجنس وهو ما أكده محمد الولي برأيه:«إن الشاهد يسعى إلى الربط بين المتفقات في الجنس، في حين أن التشبيه يسعى إلى المقارنة بين المتباينات.هو"مستبد مثل الحجاج" مقارنة أو شاهد، في حين أن المثال " هو مستبد مثل الأسد" تشبيه. الأول حجاجي والثاني شعري»[2]. فتشبيه الإنسان بالحَجَّاجِ توافق في الجنس(فهذا شاهد). أما تشبيه الإنسان بالأسد فهو تباين في الجنس(فهذا مثال).

فالشاهد إذن عبارة عن ربط بين شيئين من نفس الجنس، أما التشبيه فهو المقارنة بين شيئين مختلفين في الجنس. فالشاهد يستعمله المحاجج للربط بين قضية سالفة وأخرى يريد الدفاع عنها لإقناع المتلقي.

---

[1] ينظر الاستعارة في محطات ويونانية وعربية وغربية –ص399.

[2] المرجع نفسه –ص401.

2.المثال Exemple :

يسعى المثال إلى توضيح قاعدة ما لا تأكيدها، فهو« يتقدم كحالة خاصة وملموسة، موجزا أو مفصلا، لتدعيم أطروحة أو المساهمة في تأسيسها وهو حجة جارية تقدم قبل الأطروحة أو بعدها، أو بالموازاة معها. يستعمل المثل أيضا كوسيلة للدحض فيسمى المثل المضاد الجدلي»[1]. كما يوظف لشد انتباه المخاطب وحمله على التسليم بما يعرض عليه من أطروحات بغرض إقناعه.

3. القدوة Modele:

يستعمل المحاجج القدوة للتمثيل، ويعرضها على المتلقي ليحمله على الاقتداء بها، كالرسول –صلى الله عليه وسلم– عند المسلمين، عيسى –عليه السلام– عند المسيحيين وتطلق على من أو ما يتميز على غيره بمميزات خاصة ينفرد بها على العموم.

فالاحتجاج بالشاهد والمثال والقدوة يسميه "بيرلمان Perelman " الاحتجاج بالحالة الخاصة ويختصر وظائف هذه الحالة الخاصة بقوله:« ففي حال المشاهد ستسمح بالتعميم، وفي حال المثال ستسمح بدعم قاعدة قائمة سلفا، وفي حال القدوة ستدعو إلى الاقتداء»[2]. فهذا التشخيص قائم على الوظيفة الحجاجية التي يقوم بها الشاهد والمثال والقدوة.

4.التناسب :

يقوم التناسب بالتأليف بين علاقتين مختلفتين جنسيا؛ أي أن«الموضوع والشبيه ينتميان إلى جنسين مختلفين»[3].مثال ذلك قول المتنبي[4]:

وما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

---

[1] النظرية الحجاجية –محمد طروس –ص35.

[2] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية – محمد الولي– ص403.

[3] المرجع نفسه–ص432.

[4] ديوان المتنبي –لبنان–دار الجيل –ص87.

إن علاقة أبي الطيب المتنبي بأهل مصر الذي نزل عليهم ضيفا إلا كمقام المسيح بين اليهود فهو يشعر بالغربة كما شعر بذلك المسيح، فهذه العلاقة علاقة تناسب، فالتناسب يهدف إلى بَنْيَنَة الواقع بما يفي بالغرض الحجاجي.

5.الاستعارة:

تقوم الاستعارة بين المستعار منه باعتباره الموضوع، والمستعار له باعتباره الشبيه. وقد حدها أرسطو في كتابه " الشعر" أنها« نقل اسم شيء إلى شيء آخر، فإما أن ينقل من الجنس إلى النوع، أو من النوع إلى الجنس أو من نوع إلى نوع، أو ينقل بطريقة المناسبة»[1]. إلا أن "بيرلمانPerelman " يرى أن الاستعارة هي النقل من نوع إلى نوع أو النقل عن طريق المناسبة، وهو ما يسمى عنده بالاستعارة التناسبية التي يذوب فيها عنصر المستعار منه في المستعار له.

أما بالنسبة للنقل من الجنس إلى النوع أو العكس فقد استقلا بتسمية المجاز المرسل (التلازمي والإردافي) في رأي "بيرلمانPerelman "، ومثّل لذلك انطلاقا من التناسب بقوله :" الشيخوخة هي بالنسبة إلى الحياة مثل المساء بالنسبة إلى النهار"، ورأى أنه يمكن أن نشتق منها الاستعارات الآتية: "شيخوخة نهار "، " مساء الحياة"، "الشيخوخة مساء"[2].

إن الاهتمام بالبنية الحجاجية يمكننا من الإلمام بالأصناف المختلفة للحجج وتعددها، فقد تكون حجج شبه منطقية مؤسسة على قواعد صورية، أو منطقية، لكنها تسعى إلى الإقناع، كما نجد الحجج المؤسسة على بنية الواقع والتي تكون مرتبطة بما هو واقعي، في حين نجد الحجج المُبَنْيِنة للواقع، وهي التي يسعى المحاجج من خلالها تأسيس واقع معين محاولا تحقيق التكامل بين الصلات أو العناصر المختلفة لحمل المتلقي على الإذعان.

---

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية – محمد الولي– ص459.

[2] المرجع نفسه –ص459.

2.نظرية السلالم الحجاجية:

تعتبر نظرية السلام الحجاجية من أهم المفاهيم الحجاجية التي أفرزتها الدراسات اللسانية التداولية في حقل الحجاج، وقد تنوعت أسماؤها ومفاهيمها بحسب تنوع اختصاصات الدارسين لها؛ فالباحث "طه عبد الرحمن" تناولها تحت عنوان " مراتب الحجاج وقياس التمثيل"، ويقول فيها :«اعلم أن الاهتمام بـــ" مسألة المراتب أو المدارج"باعتبراها ظاهرة لغوية طبيعية اتخذ صبغة خاصة مع انبعاث الدراسات اللسانية ومباحث فلسفة اللغة، ويكفي شاهد على ذلك تنوع اختصاصات الدارسين الذين اشتغلوا بهذه المسألة اللغوية، فنجد من بينهم اللساني والمنطقي والرياضي والمتفلسف»[1].

تطرح نظرية السلالم الحجاجية تصورا لعمل المُحَاجَجَة مـــن حيث هـــو« تلازم بين قول الحجة ونتيجتها، لكن قول الحجة والنتيجة في تلازمها تعكس تعددا للحجة في مقابل النتيجة الواحدة على أن هناك تفاوتا من حيث القوة فيما يخص بناء هذه الحجج، كما أن الحجج تنتمي إلى قسم واحد كقولنا : الطالب مجتهد (ن) فقد نجح في السابقة بامتياز (ق1) ويتحصل على جائزة الجامعة (ق2) »[2].ف (ق1) التي تمثل نجاح الطالب في المسابقة بامتياز، و(ق2) التي تمثل حصوله على جائزة الجامعة، هما حجتان مختلفتان من حيث القوة الحجاجية، وتؤديان بدورهما إلى نتيجة واحدة هي اجتهاد الطالب وكفاءته العلمية.

يجب أن نخضع الحجج الواردة في الأقوال أو الأفعال إلى ترتيب منطقي بحسب القوة والضعف، الأمر الذي ينفي عليها الخضوع لمنطق الصدق والكذب، وهذا الترتيب هو ما يسمى السلم الحجاجي.

---

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،طه عبد الرحمن، ص273.

[2] الخطاب الإشهاري والقيمة الحجاجية،www.google.seach تاريخ الزيارة 2007/08/12

1.2.مفهوم السلم الحجاجي:

حاول" ديكروDucrot" من خلال كتابه "السلالم الحجاجية" ومؤلفه مــع "الحجاج في اللغة " بالاشتراك مع " أنسكومبر J-Anscombre" رصد مفهوم جامع للسلالم الحجاجية، فهو يعتبرها «نظاما للحجج قائما على معيار التفاوت في درجات القوة، وعلى سلمية ممكنة بين الحجة الأكثر قوة، وبين الحجة الأكثر ضعفا، إذ يمكن أن تقول عن متكلم أنه وضع فئة حجاجية ،حين :يعتبر (ج1) حجة أعلى أو أقوى من (ج) بالنسبة لــ(م) ؛ إذا قبل أن استنتاج (م) من(ج) يتضمن قبول استنتاج(م) من (ج1) والعكس غير صحيح.... أي أن استنتاج (م) من الحجة الأكثر قوة، يقصي إمكانية اللجوء إلى الحجة الأقل قوة؛ بهذا المعنى تنتظم الفئة الحجاجية بواسطة علاقة سلمية، أسماها ديكرو(السلم الحجاجي "س.ح")»[1] وقد عبر عنه بالصياغة الآتية:

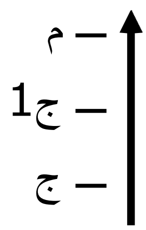

ما ذهب إليه ديكرو أثبته الباحث عبد الهادي بن ظافر الشهري ، فقد مثل هذا الأخير للسلم الحجاجي بما يعرضه الإنسان في سيرته الذاتية من تراتبيات في حياته؛ منها نموه المعرفي وأعماله. وهذه التراتبيات هي عبارة عن حجج ولهذه الحجج « مراتب مختلفة، كل مرتبة منها ترتبط مع غيرها بقوانين مخصوصة».[2] وهذه القوانين هي ما يسمى بقوانين السلم الحجاجي.

فالحجاج اللغوي كفعل إنجازي تأثيري يتمثل صلبه في :« تدافع الحجج وترتيبها حسب قوتها، إذ لا تثبت غالبا إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى

[1] النظرية الحجاجية –محمد طروس – ص95-96

[2] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي –طه عبد الرحمن – ص273.

الحجح في السياق»[1].فالسلم الحجاجي في أبسط صوره هو «علاقة ترتيبية للحجج»[2]، ومن ثم يمكن تعريف السلم الحجاجي بأنه «عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ. كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب.كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه»[3]. وقد وضح طه عبد الرحمن هاته المفاهيم من خلال الرسم الآتي : نا [زيد من أنبل الناس خلقا]

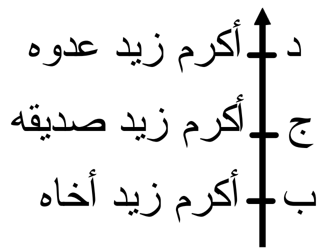

فصفة الكرم هي صفة حميدة من مكارم الأخلاق، وإذا قلنا "زيد من أنبل الناس خلقا" (نا) وهي النتيجة فذلك يعني أنه "أكرم عدوه" (د) وهي أقوى حجة تلزم عنها "إكرامه لصديقه" (ج)وهي حجة متوسطة تلزم عنها "أكرم زيد أخاه" (ب) وهي أضعف حجة في السلم. وعليه حاول "طه عبد الرحمن" استنتاج قوانين مخصوصة للسلم الحجاجي .

[1] استراتيجيات الخطاب – عبد الهادي بن ظافر الشهري –ص499-500.

[2] الحجاج في اللغة –أبو بكر العزاوي –مجلة المنارة –12/05/....www.al-manarah.com

[3] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي – طه عبد الرحمن –ص277.

2.2.قوانين السلم الحجاجي:

حاول الدارسون استخلاص جملة من القوانين تسهم في ضبط السلم الحجاجي معتمدين في إيرادها على الصور العامة لها، وهي في مجملها ثلاثة: قانون الخفض و قانون تبديل السلم (النفي) وقانون القلب.

أ. قانون الخفض :

يعتمد هذا القانون على مبدأ النقيض المتعلق بالأقوال الواردة في السلم الحجاجي، ومقتضى هذا القانون أنه« إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها»[1]؛ أي أن تراتبية الأقوال إذا كانت من الأسفل (الضعف) إلى الأعلى (القوة) فإن نقيضها يكون من الأعلى (القوة) إلى الأسفل(الضعف). وهو ما أكده أبو بكر العزاوي لما حد مفهوم قانون الخفض بقوله « يوضح قانون الخفض(Loi D'abaissement)الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا لعبارة (moins que) »[2]. وقد مثل له بقولنا :

"الجو ليس بارد " ففي هذا المثال تستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارص وشديد وستؤول: إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار .

فالخفض الناتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي ،فلا يندرج القولان الجو بارد (مثبت)- الجو ليس بارد (منفي) في فئة حجاجية واحدة ولا في نفس السلم الحجاجي .عكس ألأقوال التي تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة وسلم حجاجي واحد، أما في قولنا: "حصل محمد على شهادة الباكلوريا" و "حصل محمد على شهادة الليسانس" و "حصل محمد على شهادة الماجستير" و "حصل محمد على شهادة الدكتوراه"، فهذه الحجج كلها تؤدي إلى نتيجة واحدة مضمرة مؤداها كفاءة محمد العلمية، وحصوله على شهادة دكتوراه أقوى دليل على ذلك وترد في أعلى درجة السلم الحجاجي.

---

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي – طه عبد الرحمن –ص277.

[2] الحجاج في اللغة أبو بكر العزاوي –مجلة المنارة –ص4 www.al-manarah.comتاريخ الزيارة 2007/08/20.

ب.قانون تبديل السلم (النفي) :

يقوم هذا القانون كذلك على مبدأ النقيض ومقتضاه هو أنه « إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»[1]؛ معنى ذلك أن أي قول يؤدي إلى نتيجة معينة فإن نقيضه (نفيه) يؤدي إلى نتيجة مضادة، وبعبارة أخرى « فإذا كان "أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية بواسطة "ن" فإن "~ أ" ينتمي إلى الفئة الحجاجية المحددة بواسطة "لا–ن"»[2]. كما يصدق كذلك في النفي أيضا«كأن يسوق المرسل الخطاب الذي يتضمن أكثر من دليل على بخل أحد الناس : فلان بخيل :لا يقرض أحدا، ولا يتصدق، ولو طلبته ذنبا من ذنوبه، فلن يعطيك أياه»[3]. وقد رتب الشهري هذه الأدلة عموديا كما يأتي :

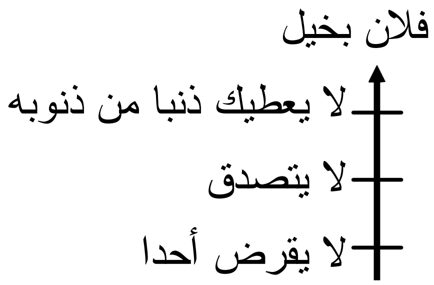

فالحجج الواردة في السلم تبدأ من الضعيفة في الأسفل والممثلة في عدم الإقراض، لأن القرض عملية طوعية بين الناس في حين أن للصدقة أجرا عظيما من الله سبحانه وتعالى، ومن لا يتصدق فهو بخيل. أما الذنب فمستحيل أن يطلبه أحد من الآخر، فهو دليل على شدة البخل، وهو أقوى الأدلة، وعليه يكون في الأعلى .

ج.قانون القلب:

يعتمد هذا القانون على القلب كمبدأ في ترتيب الحجج و مقتضى هذا القانون الثالث أنه « إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين ، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول»[4]؛ معنى ذلك

---

[1] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي –طه عبد الرحمن– ص278

[2] الحجاج في اللغة –أبو بكر العزاوي –مجلة المنارة –ص4 www.al-manarah.comتاريخ الزيارة2007/08/5.

[3] استراتيجيات الخطاب –عبد الهادي بن ظافر الشهري –ص501.

[4] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي – طه عبد الرحمن –ص278.

أن الأقوال المنفية في سلم حجاجي ما هي عكس الأول المثبتة في السلم الحجاجي الآخر.أوبعبارة أخرى «إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة»[1]، فلهذا القانون صلة وثيقة بقانون النفي ويعد مكملا له. وقد مثل العزاوي لذلك بما يأتي[2]: حصل زيد على الماجستير ، وحتى الدكتوراه .

لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل زيد على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه يستدعي حصوله على الماجستير أولا وهو دليل أقوى على مقدرته العلمية وكفاءته، في حين أن عدم حصوله على الماجستير يثبت عدم نيله لشهادة الدكتوراه وهو أقوى حجة على عدم كفاءته العلمية.

3.طبيعة البنية الحجاجية :(خلاصة وتقويم)

حاولنا رصد المفاهيم والتقنيات التي تؤطر البينة الحجاجية المتعلقة بقصة موسى –عليه السلام– في بحثنا هذا، على اعتبار أن الخطاب القرآني اعتمد القصة منهجا للدعوة إلى الله، وإرشاد النفوس إذ«لم يدع الأسلوب القرآني في دعوته إلى الله وتقويمه للنفوس، وسيلة من وسائل الإقناع العقلي والتأثير الوجداني إلا سلكها، وهو يعرف جيدا طريقه لتحقيق هذا الإقناع وذلك التأثير.وكان القصص القرآني واحدا من تلك الوسائل التي برزت بجلاء في كتاب الله لتؤدي غرضها فيما يهدف إليه القرآن من التوجيه والإرشاد، مستخدما في ذلك أهداف الحياة ومظاهرها وخفاياها، بما يكفل له تحقيق ذلك المقصود.»[3]. وجاء الخطاب القرآني على شكل صور حجاجية أسست لبنية القصة فيه. كما جاءت لتفي بغرضها التوجيهي والإرشادي وتثبيتا للرسول – صلى الله عليه وسلم – على دعواه في توظيف معالم الحق، وهو ما أكده جل بيانه

---

[1] الحجاج في اللغة –أبو بكر العزاوي –مجلة المنارة – ص5 www.al-manarah.com تاريخ الزيارة 2007/08/5.

[2] المرجع نفسه –ص5.

[3] النقد الأدبي –دراسات نقدية حول إعجاز القرآن– صلاح الدين محمد عبد التواب –مصر – دار الكتاب الحديث – ط1–2003– الكتاب الثالث–ص107.

في قوله:﴿ ....

.... ﴾[1].

وقد ذكرت قصة موسى –عليه السلام – في خمس وثلاثين سورة، وجاءت على شكل حجج متنوعة أسست في ضوء بيانها بنية هذه القصة. وقد يظهر ذلك جليا في قوله تعالى:﴿ ....

....

.... ﴾.[2] فحجتا العصا واليد الواردتان في هذين الآيتين هما بمثابة الدليل القاطع لإقناع فرعون وقــومه كي يصــدقوا برســالة موسى – عليه السلام–، ومن جحد بهذه الآيات فعليه كفره.

استنادا إلى ما تم ذكره، من خلال تناولنا لأهم المفاهيم والآليات، حاولنا أن نلخص البنية الحجاجية في قصة موسى – عليه السلام– بتقنياتها المختلفة في الخطاطة التالية :

---

[1] سورة يوسف – الآية 111.

[2] سورة القصص – الآية 31-32

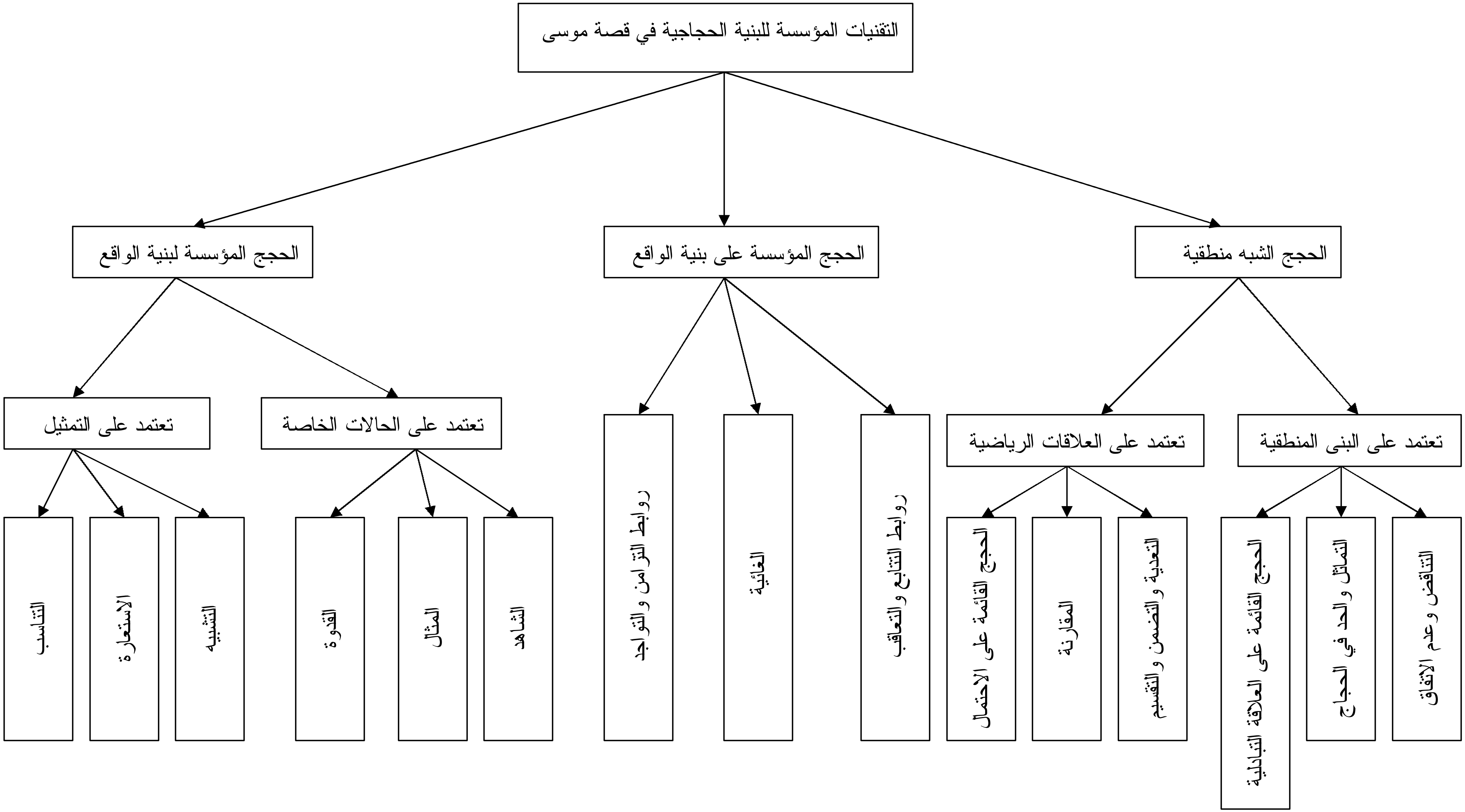
التقنيات المؤسسة للبنية الحجاجية في قصة موسى
الحجج الشبه منطقية
الحجج المؤسسة على بنية الواقع
الحجج المؤسسة لبنية الواقع
تعتمد على البنى المنطقية
تعتمد على العلاقات الرياضية
تعتمد على الحالات الخاصة
تعتمد على التمثيل
التناقض و عدم الاتفاق
التماثل و الحد في الحجاج
الحجج القائمة على العلاقة التبادلية
التعدية و التضمن و التقسيم
المقارنة
الحجج القائمة على الاحتمال
روابط التتابع و التعاقب
الغائية
روابط التزامن و التواجد
الشاهد
المثال
القدوة
التشبيه
الاستعارة
التناسب

تجسد هذه الخطاطة أنواع التقنيات المؤسسة للبنية الحجاجية في قصة موسى – عليه السلام– والمتمثلة في ثلاث آليات أساسية تنبثق عنها بنيات مختلفة تسهم في ضبطها وتصنيفها وهي :

1- **الحجج الشبه منطقية :**

وهي التي تقوم على مبدأ عدم الالتزام، ونتائجها تكــون نسبية غير حتمية، أي يمكن دحضها لأنها غير منطقية، إلا أن منها ما يعتمد على البني المنطقية، كحجج التناقض وعدم الاتفاق وحجج التماثل والحد في الحجاج، والحجج القائمة على العلاقة التبادلية. ومنها ما يقوم على العلاقات الرياضية كحجج التعدية والتضمن والتقسيم وحجة المقارنة والحجة القائمة على الاحتمال.

2- **الحجج المؤسسة على بنية الواقع :**

وهي التي تُؤَسَّسُ على وقائع أو تجارب أو أحداث ملاحظة ومعيشة واقعيا وهي ثلاث: روابط التعاقب (التتابع)وهناك من يسميها الحجة السببية أو البراغماتية، والغائية، و روابط التزامن والتواجد (التصاحب – التعايش – حجة السلطة).

3- **الحجج المُؤَسِّسَة لبنية الواقع (المُبَنْيِنَة للواقع):**

وتكتفي بالربط بين أحداث معيشة واقعيا، وتستند إلى الجمع بين أحداث أو أشياء متعالقة برابط مكاني أو زماني أو رمزي.

فهذه التقنيات في مجملها هي التي سنعتمدها فصولا لبحثنا باعتبارها الصور الحاملة للأدلة والبراهين الكامنة في الخطاب الحجاجي المجسد لقصة موسى –عليه السلام– .

الفصـــــل الأول

الحجج الشبه منطقية Arguments Quasi –Logiques

I. الحجج الشبه منطقية التي تعتمد على البنى المنطقية.

1- التناقض وعدم الاتفاق

2- التماثل والحد في الحجاج (الهوية والتحديد والدور)

3- الحجج القائمة على العلاقة التبادلية

II. الحجج الشبه منطقية التي تعتمد على البنى الرياضية.

1- التعدية والتضمن والتقسيم.

2- المقارنة

3- الحجج القائمة على الاحتمال

الحجج الشبه منطقية Arguments Quasi –Logiques:

تتميز هذه الحجج الشبه منطقية بملامستها لقواعد المنطق، وتتسم بالنسبية وعدم الإلزام لأن«الحجاج في جوهره ينبذ قانون الكل أو لاشيء؛ أي يرفض الصرامة في ضبط الحدود والفروق، ويجد في المنطقة الوسطى المتشحة بالغموض تربة خصبة»[1].فهذه الحجج في جوهرها تقوم على النسبية، ولا يمكن أن تكون مطلقة، كما يمكن دحضها، وتستند في تأسيسها إلى بنى منطقية وأخرى رياضية. ويتجلى ذلك في الخطاطة التالية:

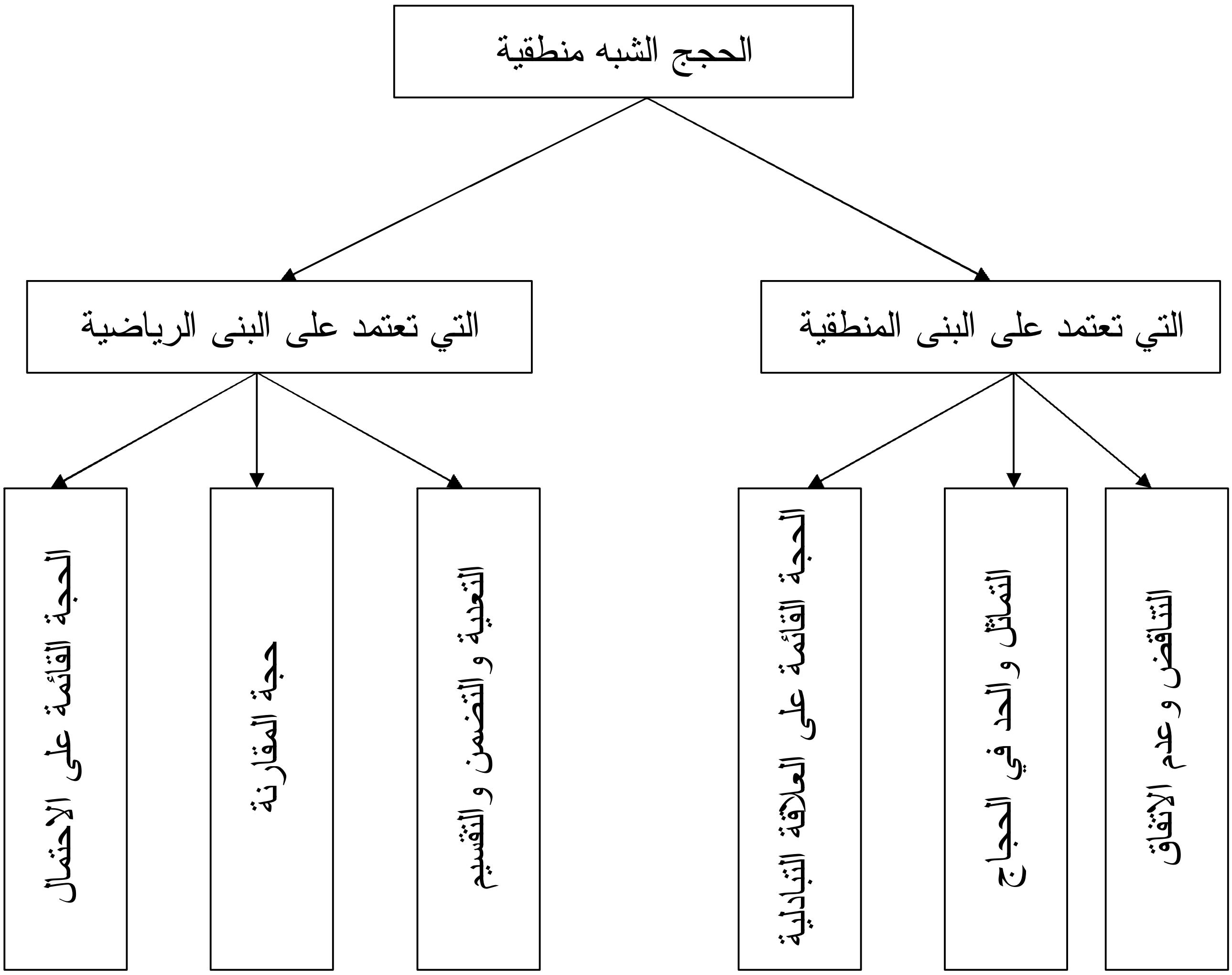

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه- سامية الدريدي –ص191

I. الحجج الشبه منطقية التي تعتمد على البنى المنطقية :

يطبع هذه الحجج الاعتماد على المنطق الطبيعي، الذي هو جزء من البنية العقلية عند الإنسان، لا المنطق الصوري الأرسطي وعددها ثلاث وهي :التناقض وعدم الاتفاق، التماثل والحد في الحجاج، الحجة القائمة على العلاقة التبادلية.

1-التناقض وعدم الاتفاق:

الانعدام المطلق للتناقض في الخطاب القرآني صفة من الصفات الدالة على إعجازه نظما ومعنى، وهو ما أكده القرآن نفسه في مواطن كثيرة، وأعقبه الباحثون بالحجة والتدليل؛ يقول الإمام "عبد القاهر الجرجاني " في باب الكلام في إعجاز القرآن: «وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أو يُرَى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور. ونظاما والتئاما، واتقانا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم-ولو حَكَّ بيافوخه السماء- موضع طمع»[1]؛ وقد عدّ بعضهم اشتمال القرآن الكريم على المعاني الدقيقة مع عدم التناقض في إثباتها وربط العلاقة بينها دليلا آخر من دلائل الإعجاز، « لأن القرآن لم ينزل من السماء لمعاصري الرسول -صلى الله عليه وسلم - من عرب وغيرهم فقط، وإنما نزل لكل زمان ومكان»[2].فالخطاب القرآني خطاب كوني خالي من التناقض. يقول "مصطفى صادق الرافعي" ملخصا هذا المسعى: «وآخرون يقولون بل ذلك في خُلُوِّهِ من التناقض واشتماله على المعاني الدقيقة»[3].فالرافعي يقر بما جاء به الجرجاني وكلاهما ينفي صفة التعارض والتناقض في القرآن الكريم لفظا ومعنى.

كما أشار إلى ذلك ابن حزم الأندلسي (ت.465هـ)في قوله :«قال علي : وهذه دعوى مفتقرة إلى برهان، فليس الاختلاف موجبا لكونهما معروضين على

---

[1] دلائل الإعجاز- عبد القاهر الجرجاني- لبنان- دار المعرفة-ط3-2001-ص44.

[2] بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم قصة يوسف نموذجا -ابراهيم عبد المنعم ابراهيم - مصر -مكتبة الآداب- ط1-2008-ص17.

[3] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعي-لبنان -دار الكتب العلمية-ط1-2000-ص104.

غيرهم، لأن الاختلاف باطل، فظنهم أنه اختلاف ظن فاسد يكذبه قول الله- عز وجل﴿ ... ﴾[1]، فإذ قد أبطل الله تعالى الاختلاف الذي جعلوه سببا لعرض الحديثين على سنة أخرى أو آية أخرى، فقد وجب ضرورة أن يبطل مسببه الذي هو العرض، وهذا برهان ضروري؛ وبالله التوفيق»[2] . فابن حزم ينفي صفة الاختلاف والتناقض في الكتاب والسنة نفيا قاطعا.

وقد يشمل التناقض اللغة الطبيعية؛ لأن «التناقض الصارخ من قبيل أبيض/أسود نادر جدا في الحجاج فالخطاب الحجاجي قلما يلتجأ إلى الاستدلال بالخلف(Par l'absurde)، ولكنه يحتفل احتفالا واضحا بعدم الاتفاق (Incompatibilite)، إذ يدفع الحجاج أطروحة ما مبينا أنها لا تتفق مع أخرى »[3]. وهو ما يمكن أن نعثر عليه في الخطاب القرآني. ونظير ذلك في قصة موسى -عليه السلام- قوله تعالى: ﴿ ... ﴾[4]. فسياق الآية قد استهل بمخاطبة موسى لقومه بأن يذبحوا بقرة امتثالا لأمر الله تعالى، وكان ذلك ردا على سؤالهم المتعلق بمعرفة قاتل الشيخ؛ إذ كان في بني إسرائيل شيخ غني، وله بنو أخ، فهموا بقتله ليلا لِيَرِثُوه، وطرحوه في مجمع الطرق، واختصم فيه الناس، وجاء ابن أخيه فشكا أمر عمه لموسى -عليه السلام - فسأل موسى ربه عز وجل في ذلك، فأوحى الله لنبيه أن يأمر بني إسرائيل بذبح بقرة، فعجبوا من هذا الأمر لمخالفته ظاهر الطلب، وهو ما يفسر عدم الاتفاق بين موسى وبني إسرائيل على لسانهم إذ قالوا﴿ ... ﴾؛ يعني« أتجعلنا مكان هزو، أو أهل هزو، أو مهزواً بنا، أو الهزو نفسه لفرط

---

[1] سورة النساء-الآية 82.

[2] الإحكام في أصول الأحكام- ابن حزم-تحقيق:محمود حامد عثمان -القاهرة -دار الحديث-2005-ج2 - ص200.وينظر البرهان في علوم القرآن -الزركشي-تحقيق: أبو الفضل الدمياطي-القاهرة -دار الحديث-2006- ص361.

[3] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه-ص192

[4] سورة البقرة-الآية 67.

الاستهزاء { مِنَ الجاهلين } لأن الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه»[1].ولذلك قال موسى: ﴿..........................﴾[2].نافيا عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان، وأخرج ذلك على صورة الاستعادة استفظاعا له وتبرئة لذاته.

فتعجبوا من ذلك الأمر، وبالغوا في طلب تحديد البقرة بالاستفهام حالا بعد حال، واستقصوا في طلب الوصف فلما تعينت عند أحدهم وباعها إياهم بأغلى ثمن، فذبحوها عن مضض وما كادوا يفعلون، ثم أخذوا عضوا منها وضربوا به القتيل، فارتدّ حيا ونطق باسم قاتله. وهو الذي شكاه لموسى –عليه السلام– ليموت بعد ذلك مرة أخرى. فكانت قصة البقرة حجة لإثبات دعوة موسى قومه بالعودة إلى درب الإيمان «وهكذا سميت السورة سورة البقرة إثباتا لقضية أساسية في الدين وهي حقيقية الإيمان بالبعث»[3].إن أغلب التفاسير تشير إلى أن موسى كان على وعي بما يفعل بإذن من الله تعالى، وبنو إسرائيل الذين استقبلوا أوامر الله بعدم التصديق والتشديد والاستقصاء،اضطروا إلى الإذعان والاتفاق مع موسى لفظا ومعنى. ولا شك أن من يسأل بغرض الجواب الصريح الصحيح، ويفاجأ برد مغاير لا يدرك حقيقة التسليم بالرسالة، لكن إرادة الله أقوى من ذلك، وهو ما يفسر سر الوحي الإلهي.

كما يتجلى ذلك في قوله جل بيانه: ﴿..﴾[4]. فلعل المتأمل في سياق الآيتين يجد أن الجحود واليقين قد يجتمعان في نفس بشرية واحدة، ويدرك يقينا عدم الاتفاق بينهما، وهو ما تجسد فعلا لدى فرعون وقومه عندما جاءهم موسى بآيات ربه، وإلى ذلك أشار الرازي بقوله : «أما قوله [وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ] فالواو فيها

---

[1] الكشاف– الزمخشري –شرح وضبط يوسف الحمادي–مصر–مكتبة مصر–ج1–ص139.

[2] سورة البقرة–الآية 67.

[3] تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي –مصر – دار أخبار اليوم –1997–ج1–ص97.

[4] سورة النمل –الآية 13–14.

واو الحال، وقد بعدها مضمرة، وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوا بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم، والاستيقان أبلغ من الإيقان»[1].فتلك الآيات التي جاءهم بها موسى تبصر فتهدي، لأن العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا على أن تهدي غيرها، لكنهم لم يومنوا بها تكبرا ورفعة؛يقول الزمخشري «وقد قوبل بين المبصرة والمبين، وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات مبينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا مبينا مكشوفا لا شبهة فيه »[2].إنه فعل الكافر الجاحد المنافق الذي يحمل في ذاته تناقضا صريحا بين ظاهره وباطنه، ولا يكاد يبين مهما أوتي من حجة بالغة لإذعانه على الإقناع والتسليم.

[1] التفسير الكبير ومفاتيح الغيب –محمد الرازي فخر الدين –لبنان –دار الفكر –ط1–1981–ج12–ص19.

[2] الكشاف– الزمخشري–ج3–ص395.

2- التماثل والحد في الحجاج (الهوية والتحديد والدور):

يقتضي مبدأ التماثل التعريف بالفكرة وضبط وجودها عن طريق الكلمات التي تتفق أو تتشابه لفظا وتتنوع دلالة «كأن يقول أحدنا "الدنيا هي الدنيا" مقدما بذلك تعريفا يفتقر إلى الصرامة المنطقية وإلى وضوح طرفيه »[1]، فقد يتنوع مفهوم الدنيا بحسب تعدد المتلقين، وقد نفهم الدنيا على أنها الحياة أو المرأة أو الغدر أو البؤس. وهناك من يسمي الحد في الحجاج بالتماثل التام، وهو ما أشار إليه محمد سالم محمد الأمين الطلبة بقوله :«أما التماثل التام فمقداره على التعريف الذي يكون فيه المُعَرَّف والمُعَرِّف متماثلين لفظا، الأمر الذي يجعلنا نعتبر اللفظ الثاني محمولا على المجاز وذلك حتى لا تكـــون العبارة الثانية حشـــوا le pléonasme أو تحصيل حاصل»[2]. يفهم من هذا الكلام أن الباحث يفرق بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي للكلمات التحديدية التي قد تحمل معاني متعددة، وهو ما أكده محمد الولي بقوله: «إن بعض العبارات التحديدية توفر من حيث الصياغة عبارات دورية" المرأة هي المرأة" و"الدرهم هو الدرهم" إلا أننا نلاحظ في مثل هذه العبارات أن التكرار ليس بالضرورة تكرار للمعنى نفسه، إذ الغالب في هذه العبارات أن التحقق الثاني يحيل على معنى غير المعنى الأول»[3].

ومن نماذج هذه البنية الحجاجية قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿ ....

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . ﴾[4]. فإذا وقفنا على مفهوم اللفظتين "بسحرك و بسحر" لوجدناهما يتفقان لفظا

---

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه- سامية الدريدي -ص200.

[2] الحجاج في البلاغة المعاصرة -محمد سالم محمد الأمين الطلبة- ليبيا-دار الكتاب الجديدة المتحدة-ط1-2008- ص128.

[3] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية -محمد الولي-ص378.

[4] سورة طه -الآيات 56-59.

ويختلفان معنى، والفاء في "فلنأتينك بسحر مثله" «لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام واقعة في جواب قسم محذوف كأنه قيل :إذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك»[1].فلماذا قال فرعون: ﴿ ..... ﴾[2]،ولم يقل جئتني؟فهو بهذه العبارة التي تنطوي على كثير من الخبث، يكون قد نقل مجال الخلاف مع موسى وهارون إلى رعيته، فثاروا دفاعا عن مصلحتهم الاقتصادية المتعلقة بزراعة الأرض وما ينتفعون به على ضفاف النيل، وليس على ألوهية فرعون المهددة بالزوال. ومن ثمَّ سمى فرعون ما جاء به موسى سحرا في نظره ونظر رعيته، وإن كانت هذه التسمية خاطئة في حق موسى- عليه السلام-[3] على اعتبار أنها حجج وأدلة أيده الله بها ليثبت ويصبر في مواجهة قوى البغي والشرك ومحاولة إقناعهم، رغم ما كان يعتريه من خوف، إلا أنه رفع معنوياته بمجرد أن استعمل برهانه المادي ممثلا في العصا واليد، الأمر الذي جعل فرعون يحدد يوما يتم فيه النِّزال بين موسى وأتباع فرعون من سحرة[4]، وهو ما يفسر الفرق الجلي بين ما جاء به موسى –عليه السلام- وما جاء به سحرة فرعون، ذلك أن « السحر لا يقلب حقيقة الشيء بل يظل على حقيقته، ويكون السحر للرائي، فيرى الأشياء على غير حقيقتها، كما قال تعالى: ﴿ ..... ﴾[5]، فَلَمَّا ألقى السحرة حبالهم كانت حبالا في الحقيقة، وإن رآها الناظر حياة وثعابين تسعى، أما عصى موسى فعندما ألقاها انقلبت حية حقيقة بدليل أنه لما رآها كذلك خاف منها»[6]. فلا يوجد – إذن- تطابق في المعنى بين لفظة السحر الواردة في سياق هذه الآيات، إذ تعني

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني –الألوسي–لبنان–دار إحياء التراث العربي –1353هـ– ط2– ج16–ص216.

[2] سورة طه–الآية 57.

[3] ينظر تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ص9301 و9302.

[4] البنية السردية في القصص القرآني –محمد طول– الجزائر– ديوان المطبوعات الجامعية –ص105.

[5] سورة الأعراف –الآية 116.

[6] تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي ––ص9302.

الأولى الحجج والآيات البينات التي أيد الله بها موسى –عليه السلام–لتبليغ دعوته. وتعني الثانـــية السحـــر الحـــقيقي المتـــداول بين الناس في عهد فرعون. فالمتأمل في الخطاب القرآني يدرك حقيقة ما جاء به رسول موحى إليه من لدن حكيم عليم، وبين ما يدعيه طاغية مغرور يدعي الربوبية .

وقد يتحقق التماثل والحد في الحجاج بصيغة أخرى تكمن في تعدد اللفظ بمعنى واحد، أو تعدد المعاني للفظ واحد، وهو وجه من وجوه الإعجاز في الخطاب القرآني، لأن«الألفاظ لا تراد لأنفسها وإنما تراد لتجعل أدلة عل المعاني »[1]. ونظير ذلك في قصة موسى قوله تبارك أسمه: ﴿ ..... ﴾[2]. فسياق هذه الآيات يختلف بحسب طبيعة الحدث، «لذلك نجد سياق الآية الأولى هادئا رتيبا يناسب رحلة الإعداد، أما في التنفيذ فقد جاء السياق سريعا متلاحقا يناسب سرعة التنفيذ »[3]؛ أي أن الآمر سبحانه وتعالى يوحي إلى أم موسى أن تسرع بتنفيذ الأمر لتحقيق أمن موسى وإلقاء المحبة عليه.

أما بالنسبة لـــ (أن) فهي المفسرة، والوحي بمعنى القول، والضمائر كلها تعود على موسى والقذف بمعنى الإلقاء والوضع[4]. وإذا عدنا إلى عبارة "فليلقه" فتتضمن ثلاث إلقاءات لموسى: إلقاء الرحمة والحنان في التابوت، وإلقاء التابوت في اليم تنفيذا لأمر الله، وإلقاء اليم للتابوت عند فرعون »[5].فتعدد المعاني للفظة "الإلقاء" يؤدي بنا في المجال الحجاجي، أن نسم هذه الكلمات أنها دورية من حيث المعنى لا اللفظ .

---

[1] دلائل الإعجاز –عبد القاهر الجرجاني ص334.

[2] سورة طه –الآيات37–39

[3] تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي –ص9267

[4] ينظر الكشاف للزمخشري –ج3– ص144–أنوار التنزيل وأسرار التأويل–البيضاوي– لبنان – دار إحياء التراث العربي–1998–ج4–ص27.

[5] تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ص9268.

3- الحجج لقائمة على العلاقة التبادلية **Règle De Réciprocité:**

تقوم هذه الحجج على مبدأ العدالة بين الأفراد والقضايا التي يربطها رابط سببي واحد؛ أي أن ما ينطبق على الأول ينطبق على الآخر، لأن« الحجج القائمة على العلاقة التبادلية Les Arguments De Réciprocité تتمثل في محاولة المواءمة بين الحجج العكسية، ويمثل بيرلمان لهذا بمقولة تعتمد فكرة التناظر:" ضع نفسك مكاني"»[1].فالعلاقة التبادلية قوامها التناظر والتسوية بين الطرفين. ويوضح ذلك "ليونال بلنجي Lionel Bellenger " بقوله: «إن الحجاج عن طريق العلاقة التبادلية التي تقوم عليها حجج شبه منطقية عديدة يصبح ممكنا شرط تناسي كل ما يفرق بين الأوضاع وتعديلها لا بشكل تعدو معه متطابقة »[2].

ومن نماذج هذه الحجج في قصة موسى –عليه السلام– قوله جل وعلا:

﴿ ....

....

.... ﴾[3]. فمقام هذه الآيات يتحدث عن بني إسرائيل، حيث أمر الله موسى أن يتقدم هو وقومه، ويتبعهم فرعون وجنوده، فينجي الله المتقدمين ويغرق التابعين[4]، لتنفتح الآيات بعد ذلك على صورة ذات عبرة بالغة لما آل إليه مصير فرعون بعد أن كان هو وجنوده يتمتعون بالمساكن الطيبة والنعم المبسوطة والجنات المخضرة، فقد أهلكهم الله وأورث ملكهم وديارهم بني إسرائيل. فتلك حجة شبه منطقية قائمة على العلاقة التبادلية بين ما شمل فرعون وجنوده من الخيرات والملذات، وانتهت إلى بني إسرائيل بما صبروا عليه من الأذى الذي ألحقه بهم فرعون.

---

[1] الحجاج في البلاغة المعاصرة –محمد سالم محمد الأمين الطلبة–ص129.

[2] المرجع نفسه –ص201.

[3] سورة الدخان–الآية 23–29.

[4] ينظر الكشاف – الزمخشري–ج4–ص178.

وبعد هلاكه هو وجنوده قال تعالى:﴿...... . ...﴾[1].وههنا تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده، فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض، فسياق الآية جاء موافقا لما كان متداولا عند العرب، أنه إذا مات رجل خطير قالوا في تعظيم مهلكه :بكت عليه السماء والأرض وبكته الريح وأظلمت له الشمس[2].فجاء الخطاب القرآني بأسلوب التمثيل والتخييل ليبين الدرجة الدنيئة لفرعون وجنوده.

وتدعيما لما سبق بسطه يمكن الاستعانة بالحجة التبادلية الواردة في الآية الكريمة التي يُخَيِّر فيها السحرة موسى –عليه السلام– على أول الملقين للسحر، حيث يقول المولى عز وجل:﴿... ... ...﴾[3]؛ فظهور السحرة بهذه المنزلة الحسنة وهذا التواضع والتأدب يوحي بمبدأ العدل في أنفسهم، وهو ما أكده الزمخشري إذ يرى أن:«هذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معهم وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم، وكأن الله – عز وعلا– ألهمهم ذلك. وعلم موسى –صلوات الله عليه–اختيار إلقائهم أولا مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفذوا أقصى طَوْقِهم ومجهودهم»[4]. فالتماثل الموجود بين السحرة وفرعون يحتكم إلى مبدأ منطقي هو العلاقة التبادلية، فكلاهما يريد أن يقنع الآخر بآياته :« فمن حيث الحركة أمام الناظرين لا فرق بين عصا موسى وحبال السحرة وعصيهم، فكلها تتحرك، إنما تميزت عصا موسى بأنها تلقف ما يضعون من السحر، وهذا موضع المعجزة في عصا موسى– عليه السلام– »[5]، فقدرة الله تعالى كانت أشد وأقوى على إظهار الحق وإبطال الباطل.

---

[1] سورة الدخان – الآية 29.

[2] ينظر الكشاف– الزمخشري–ج 4–ص179.

[3] سورة طه –الآية 65.

[4] الكشاف –الزمخشري– ج3–ص154. وينظر روح المعاني –الألوسي–ج16–ص226.

[5] تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي –ص9311 و9312.

يتكئ مفهوم العدل عند محمد الولي على مفهوم التسوية والتناظر، إذ يرى أن «مبدأ التسوية هو التعبير عن قاعدة العدل»[1].ويظهر هذا المبدأ جليا في قوله تعالى على لسان فرعون:﴿...

....﴾[2]. فسياق الآيات يوحي بتسوية بين الطرفين تقوم على العدل. وهذه تسوية متباينة (بيننا وبينك موعدا)؛ أي أن نجعل زمانا أو مكانا أو مصدرا [3]، وعنه قال الشعراوي: «أي نتفق على موعد لا يخلفه واحد منا {مكانا سوى} مستويا لأنه سيكون مشهدا للناس جميعا ،تستوي فيه مرائي النظارة ، بحيث لا تحجب الرؤية عن أحد ، أو (سوى) يعني سواء بالنسبة لنا ولك »[4].

ففرعون وملئه كانوا يريدون المناصفة والعدل بينهم وبين موسى –عليه السلام– في التعامل لبسط سحرهم.

أما في سورة البقرة فقد تجسد مبدأ التسوية والتناظر عندما اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلا، الخَيِّر فالخَيِّر، وطلبوا منه أن يسمعوا كلام الله ، فوافقهم على ذلك وسمعوه، والله يكلمه يأمره وينهاه افعل ولا تفعل، فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى الغمام الذي كان يحفه أثناء الكلام أقبل عليهم، فقالت بنو إسرائيل لموسى –عليه السلام– : لن نصدقك حتى نرى الله جهرة [5].ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿...

......﴾[6]، فصعقوا جميعا بإذن من الله تعالى جزاءً بما طلبوه من محال«وفي هذا الكلام دليل على أن موسى –عليه السلام– رَادَّهُم* القول، وعَرَّفهم أن ما لا يجوز

---

[1] الاستعارة في محطات عربية ويونانية وغربية –محمد الولي–ص380.

[2] سورة طه–الآيتان 57–58.

[3] ينظر الكشاف –الزمخشري –ج4–ص151.

[4] تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي –ص9302.

[5] ينظر قص الأنبياء –ابن كثير– ص299.

[6] سورة البقرة–الآية 55.

*رادهم القول :مفاعلة من البدء بالقول والرد عليه ،أي حاورهم وناقشهم– الكشاف –الزمخشري–ج1–ص132.

عليه أن يكون في جِهَةٍ محال، وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض»[1].

فالعلاقة التبادلية بين موسى وبني إسرائيل تجسدت في كونهم سمعوا كلام الله، لأن ما شمل موسى شملهم، وهو مبدأ العدل والمناصفة، إلا أنهم طالبوه بالمُحال بعد بيان الحجة والبرهان، فسلط الله عليهم الصعقة فقتلوا.

II- الحجج الشبه منطقية التي تعتمد على البنى الرياضية :

تعتمد هذه الحجج على البنى الرياضية في تأسيس علاقاتها الداخلية وتلاؤمها، وهو ما يدعم قوتها الحجاجية بغرض الإقناع. وعددها ثلاث وهي: حجج التعدية والتضمن والتقسيم وحجة المقارنة، والحجج القائمة على الاحتمال.

1.حجج التعدية والتضمن والتقسيم:

تعتمد حجة التعدية (Argument De Transitivité) على القاعدة الرياضية القائمة على أنه إذا كان أ=ب، وب=ج، فإن أ=ج، وتكاد تقدم «أغلب الدراسات المتصلة بالحجاج نفس المثال لتوضيح ما يسمى بحجة التعدية، أو القول بأن صديق صديقي، صديقي أو عدو صديقي عدوي »[2]. ونظير ذلك في قصة موسى -عليه السلام- قوله تعالى: ﴿ .... ﴾[3]. فالعداوة المذكورة في الآيات سيقت في شكل معادلة رياضية مؤداها :

فرعون عـــــدو لله تعالى
الله أرسل موسى رسولا
⟸ فرعون عدو لهما معا.

---

[1] الكشاف -الزمخشري-ج1-ص132.

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه -سمية الدريدي-ص205.

[3] سورة طه -الآية 38-39.

فالعلاقة الأساسية التي تضبط هذه العداوة هي علاقة تعدية، إذ أن « حجج التعدية(Arguments De Transitivité) تقوم على استنتاج علاقات انطلاقا من توظيف قيمة عنصر ثالث يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة بين العنصرين الأول والثاني»[1].فالتعدية تجسدت بواسطة العداوة المحققة والقارة بين رب العالمين ورسوله من جهة وبين فرعون الكافر الذي علا في الأرض من جهة أخرى.

كما تتحقق علاقة التعدية في قوله عز اسمه: ﴿ ..... ﴾[2]؛ إذ يرى الزمخشري أن الجار والمجرور(مني) «لا يخلو إما أن يتعلق بألقيتُ، فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب، وإما أن يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة؛ أي محبة خالصة أو واقعة مني قد أنزلتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وكل من أبصرك»[3]. وإذا أردنا أن نصوغ هذا الرأي الحاوي احتمالين في شكل قاعدة رياضية، حصلنا على المعادلتين التاليتين:

المعادلة 1:

الله تعالى أحب موسى

من أحبه الله أحبته القلوب ⟸

موسى أحبته القلوب

المعادلة 2:

الله زرع محبة موسى في القلوب

فرعون أبصر موسى فأحبه ⟸

من أبـــصر موسى أحبه

[1] الحجاج في البلاغة المعاصرة –محمد سالم محمد الأمين الطلبة–ص129.

[2] سورة طه–الآية39.

[3] الكشاف –الزمخشري–ج3–ص145.

فالعلاقة الرئيسة ههنا هي علاقة التعدية، والعلاقة الجزئية التي تمت بواسطتها هي المحبة التي ألقاها الله على موسى –عليه السلام– أو أودعها في القلوب.

تعتبر حجة التضمن(الاشتمال)l'argumentation par inclusion من الحجج القائمة على المبدأ الرياضي.والتضمن من أهم معايير القياس الأرسطي المتكون من مقدمة صغرى وأخرى كبرى ونتيجة[1]، والقائم على أن كل ما يصدق على الكل يصدق على الأجزاء، فهذه الحجة «تقوم في جوهرها على رؤية كمّية، فالكل يتضمن الجزء، من ثمة فهو أهم بكثير من الجزء، ولذلك أيضا تعد قيمة الجزء مناسبة لما تمثله بالنسبة إلى الكل»[2]. فالعلاقة بين الكل والجزء تتأسس على رابط سببي يحكمهما.

ويتجلى هذا النوع من الحجج في قصة موسى –عليه السلام– من خلال قوله تبارك وتعالى: ﴿...

...﴾[3].تبتدئ هذه الآيتان بعطف على من سبق قارون وفرعون وهامان من الأمم، وهم قوم لوط وعاد وثمود ومدين الذين استكبروا عن عبادة الله مع رسلهم [4]، فأدركهم أمر الله جميعا، فكان الحاصب لقوم لوط ؛ وهي ريح عاصف حصباء؛ والصيحة لمدين وثمود، والخسف لقارون، والغرق لقوم نوح وفرعون، والكل شمله العذاب[5].فلو تدبرنا سياق هاتين الآيتين لوجدنا أن هناك مستويين يحويان حجة الاشتمال:

---

[1] ينظر الحجاج في البلاغة المعاصرة – محمد سالم محمد الأمين الطلبة –ص129.

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي–ص210

[3] سورة العنكبوت –الآيتين 39–40

[4] ينظر البحر المحيط –أبو حيان الأندلسي –بيروت–دار الفكر–2005–ج8–ص357.

[5] ينظر الكشاف–الزمخشري–ج3–ص487.

– **الأول:** قارون وفرعون هامان :أجزاء من كل متكبر كافر جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا عنها وكانوا جاحدين. فما ينطبق على أحدهم ينطبق عليهم ككل.
– **الثاني:** أن كُلاً من قوم لوط وعاد وأهل مدين وقوم ثمود وقوم نوح وفرعون ومن اتبعه من قومه، جاءتهم رسلهم بالبينات الدالات على وحدانية الله وقدرته وعظمته، فلم يصدقوا ولم يؤمنوا بها، فأخذهم الله بعذابه بما كانوا يصنعون. فما ينطبق على فرعون و ملئه ينطبق على من سبقهم من الأمم الجاحدة الكافرة بآي الله و دلائل قدرته.

أما حجة التقسيم(Argument De Division) فمؤداها تقسيم الكل إلى الأجزاء التي تؤسسه، فما ينطبق على كل جزء ينطبق على الكل؛ أي «اعتبار كل واحد من هذه الأجزاء بغاية الإقناع بقضية تتعلق بالكل»[1].وقد ورد هذا النوع من الحجج في مواطن متعددة في الخطاب القرآني. ومما ورد منها في قصة موسى –عليه السلام– ما جاء على لسان فرعون في قوله تعالى: ﴿..

....

....

......﴾[2].فالآيات واضحة في إبراز اعتراض فرعون على دعوى موسى –عليه السلام–، وقد استهلها بالاستفسار عن حقيقة المُرسِل، وكان يريد(أي شيء هو رب العالمين؟)، واستعمل ما الاستفهامية للدلالة على غير المعلوم ظنا منه أنه من الأشياء التي شوهدت أو عرفت أجناسها، فأجابه موسى بما يُستدل عليه من أفعاله الخاصة ، وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء، أي ليس كمثله شيء[3]، وأكد جوابه–عليه السلام– بمجموعة من الحجج الجزئية اتضحت في قوله: (رب السماوات والأرض وما بينهما

---

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الولي–ص380.
[2] سورة الشعراء–الآيات 23–28.
[3] ينظر الكشاف –الزمخشري –ج3–ص355.أنوار التنزيل –البيضاوي – ج4–ص136.روح المعاني – الألوسي– ج19–ص71 و72.

وربكم ورب آباءكم الأولين ورب المشرق والمغرب وما بينهما)، وكان الانتقال في هذه الحجج من العام إلى الخاص :

الأولى :رب السماوات والأرض وما بينهما، وهو بهذا عرَّف الله بأظهر خواصه وآثاره.

الثانية : ربكم ورب آباءكم الأولين، وهو عدول إلى أن هناك مصور حكيم يكون أقرب للناظر وأوضح عند ما يتأمل في ذاته.

الثالثة:رب المشرق والمغرب وما بينهما؛ أي تشاهدون أنه كل يوم يأتي بالشمس من المشرق ويحركها نحو المغرب على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها إلى المغرب بانتظام دقيق ومحكم[1]. وقد ختم موسى بحجة أخرى تضمنها قوله تعالى: ﴿ ..... ﴾[2]، فكلمة "تعقلون" وردت في مقابل كلمة "الجنون"؛ إي جاءت ردا على قول فرعون: "إن رسولكم لمجنون"، وقد أورد موسى هذه الحجة بعد ما أدرك فيهم شدة الإصرار والعناد وقلة الإصغاء[3].

يتبين من خلال هذه الآراء، أنه كان بمقدور موسى أن يجيب عن سؤال فرعون بقوله (هو الله) بوحدانيته وقدرته، وأن ليس كمثله شيء، وهي القضية الكلية، لكن تم الانتقال إلى قضايا جزئية (حجج) غرضها الإقنـــاع بالقضية الكلية ، وهي ذكر السماوات والأرض وما بينهما ثم للبيان أنفسهم وآبائهم، وهذا انتقال من العام إلى الخاص، ثم يخصص أكثر بذكر المشرق والمغرب للاستدلال على ما يُدْرك يوميا، ثم ردَّ بكلمة (تعقلون)على من تَوَهَّم فيه الجنون.

وإذا أردنا أن نحلل هذه الحجج من حيث الشدة والقوة وترتيبها في المدارج أوالسلالم الحجاجية، باعتبار أن «العلاقة ذات الطبيعة التكوينية للسلالم تتحقق انطلاقا من علاقة التداخل بين الجمل المتضمنة للحجج المختلفة»[4]. يبدو من المفيد

---

[1] ينظر الكشاف –الزمخشري– ج3– ص355.

[2] سورة الشعراء –الآية 28.

[3] ينظر الكشاف–الزمخشري–ج3–ص365. تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ص10559.

[4] L'argumentation Dans La Langue- Jean-Claude Anscomdre Et Ducrot-Mardaga 3 Eme Edition –Belgique-p55

الاعتماد على ما ذكره "ديكرو Ducrot"، ذلك أن « ما جاء به ديكرو من تحليل للسلميات الحجاجية إنما يهدف إلى وصف الأقوال وتحديد مراتبها باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجيتين، فالسلم الحجاجي بهذا المعنى هو علاقة ترتيبية للحجج»[1] والحجج التي سبق تحليلها تتمايز فيما بينها من حيث الشدة والقوة، إلا أنها لا تكون موفية إلا بشرطين أساسيين يسهمان في تماسكها وهما :

1. كل قول يقع في مرتبة ما من السلّم يُلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.
2. كل قول كان في السلم دليل على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليل أقوى عليه[2].

فهذه التراتبية للأقوال تؤدي بالمحاجج إلى الانتقال من العام إلى الخاص، أو من الخاص إلى العام؛ أي أنها«تضمن تسلسل حجتين د1 (أ) و د2 (ب) باعتبار أن الحجة الأولى تكون سببا في ظهور الثانية»[3]. ويتضح ذلك في الآيات السابقة حيث انتقل موسى– عليه السلام – من العام إلى الخاص في إثباته لصفات رب العالمين. وفي الإمكان التمثيل لهذه المحاججة على السلم الحجاجي بالشكل الآتي:

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلة القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية الدريدي–ص255.

[2] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي –طه عبد الرحمن–ص277.

[3] L’elementd D’analyse Du Discours –Georges-Elia Sarfati –Franc Nathan -1997-P33.

النتيجة :رب العالمين أجمعين

رب كل شيء وخالقه

ح3 — **رب السمــاوات والأرض ومــا بينــهما**

حجة لإظهار خواصه وآثاره كلها

ف

ح2 — **ربكــم ورب آبائــكـــم الأوليــن**

دليل على خالق الإنسان ومصوره، ويكون أقرب للناظر عند التأمل

ح1 — **رب المشــرق والمغــرب وما بينهما**

لإدراك التعاقب اليومي لليل والنهار

فــ ح1 ،ح2،ح3 هي عبارة عن حجج تتمايز من حيث الشدة والقوة، وكان الانتقال فيها من العام إلى الخاص، وهو ما استدل به موسى في رده على فرعون عندما سأله عن رب العالمين، و"رب العالمين أجمعين "هي النتيجة النهائية التي ارتكزت على الحجج الثلاثة السابقة لإثباتها.

2-**حجة المقارنة** **La Comparaison** :

يتمحور قوام حجة المقارنة في جوهرها حول عملية "القيس Mesure " الرياضية بين طرفي قضية، «حيث نواجه بين عدة أشياء لأجل تقويمها الواحد بالنظر إليه من زاوية الآخر»[1].وهو ما يجعل الحجاج أبلغ وأقنع.فالمقارنة باعتمادها القيس جوهرا يجعلها تقوم على العلاقات الرياضية، وهو ما أكـــــده" جون جاك روبريو jean Jacques robrieux " بقوله :«إن حجج المقارنة هي شبه منطقية، إنها

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الولي –ص382.

تُقدم في الغالب باعتبارها تأكيدات واقع»[1]. فالمقارنة بهذا المعنى يحتج بها لإثبات أو نفي قضية معينة، إلا أن هناك من ينفي انتماءها إلى الحجج الشبه منطقية، ويدرجها ضمن الحجج المُؤسِّسة لبنية الواقع. ومن هؤلاء "أوليفي روبول Olivier Reboul " الذي أكد أن «المقارنة عملية تجريبية مُنشدَّة إلى عملية بناء الواقع، خاصة وأن المقارنة حين تعقد بين طرفين لا تكون بالضرورة واقعية، بل قد تكون مبتدعة لا أساس لها إلا سياق الناس وخيال المحتج»[2].ونحن بدورنا نرجح رأي الفريق الأول" جون جاك روبريو jean Jacques rob rieux " انطلاقا من فكرة القيس والوزن Mesure الرياضية التي تعتمد عليها المقارنة في حد طرفي قضية معينة.

تتمظهر حجج المقارنة في الخطاب القرآني بشكل جلي، وقد تمثلت في ما نحن بصدده في قوله تعالى مخبرا عن قول السحرة لفرعون: ﴿ . . . . . .

. . . . . .

. . . . . ﴾[3]، فسياق هذه الآي يجسِّد المقارنة بين المجرم الكافر والمؤمن الصالح الأعمال؛ أي من مات على معصيته وكفره فجزاؤه جهنم، ومن مات على إيمانه وأعماله الصالحة فجزاؤه الجنة [4]. لكن لماذا استعمل السحرة لفظ الإجرام دون سواه من أفعال الكفار؟ يقول الشعراوي: «لأنه قال{ . . . . . }. ولم يفعلوا أكثر من أن قالوا كلمة الحق فأينا إذن؟»[5]. الأكيد أن قطع الأيدي و الأرجل وصلب الناس على جذوع النخل لدليل قاطع على إجرام فرعون الذي له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه، وهذا تحقيق لكون عذابه تعالى سرمدي، ولا يحي حياة ينتفع بها. ومن

---

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية–محمد الولي –ص382.عن Elément de rhétorique et de l'argumentation - jean Jacques rob rieux -dunod-1993-p.p.117-118-.

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي–ص248.

[3] سورة طه– الآيات 74–76.

[4] ينظر روح المعاني –الألوسي –ج16–ص234.

[5] تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي –ص9331.

يات ربه مؤمنا به عز وجل، وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما بينه موسى، وعمل الصالحات من الأعمال، فهو مبشر بعلو درجته وبعد منزلته الرفيعة جزاء بما آمن به وعمله[1].

فلو قمنا بمراعاة مبدأ "القيس" الرياضي في المقارنة بين المجرم والمؤمن، من حيث قوة الإيمان وصالح الأعمال لوجدنا أن من صفات المجرم: الكفر والتكبر والإساءة إلى الآخر والاضطهاد و الاستعباد والاستضعاف...الخ. أما المؤمن فمن صفاته: قوة الإيمان بالله و العمل الصالح و التواضع ، التصديق بما يوحى وأداء الشعائر...الخ. فحجة المقارنة هي العامل الرئيس لتشخيص حدود كل طرف من هذين الطرفين.

ونظير ذلك في مقام آخر من قصة موسى –عليه السلام– قول الله جل وعلا على لسان موسى مشيرا إلى لكنته طالبا العضد لأخيه هارون الفصيح اللسان: ﴿ ... ... ﴾[2]، وعندما أمر الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون و تبليغه الرسالة قال تعالى: ﴿ ... ... ﴾[3]،

وفي قوله عــز اسمه على لســان فرعــون في وصفه لموســى: ﴿ ... ...

[1] ينظر روح المعاني –الألوسي –ج16– ص231 و232.

[2] سورة القصص–الآيات 33–35

[3] سورة طه– الآيات24–36.

.... ﴾[1]، ففي هذه الآيات كلها إشارات إلى الآفة التي في لسان موسى، ومن ثم جاء طلب موسى من الله تعالى أن يمده بأخيه معينا على بسط رسالته، لأن أخاه كان أفصح منه، وإن كان كلاهما فصيحا، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿........

.... ﴾[2]، والغرض من ذلك كله أن يلخص هارون الحق على لسانه لإقناع فرعون والملأ[3]، وقد أشار إلى ذلك الزمخشري بقوله: «ليس الغرض تصديقه أن يقول له صدقت، أو يقول للناس صدق موسى، و إنما هو أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار، كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة...فأسند التصديق إلى هارون، لأنه السبب فيه، إسنادا مجازيا*»[4]. ففصاحة هارون أنزلته منزلة المحاجج المساعد لأخيه موسى عليه السلام.

فوجه التشابه بين موسى وأخيه هارون –عليهما السلام – يكمن في أن كل منهما يشترك في النبوة والرسالة، وبيان ذلك في قوله تعالى: ﴿..........................

.... ﴾[5]، وكذلك قول الحق﴿..........................

.... ﴾[6]. إذ يتبين من هذه الآيات إلى أنهما رسول واحد لأن رسالتهما واحدة[7].

وإذا نظرنا إلى كل واحد منهما على حده فهما رسولان، إلا أن وجه المقارنة بينهما يكمن في أن هارون أزيد فصاحة من موسى وأقدر على إقناع القوم بيانا، ولذلك طلب موسى –عليه السلام – من المولى القدير أن يشد عضده بأخيه هارون معينا.

---

1 سورة الزخرف–الآيتين 51–52.

2 سورة القصص– الآية 34.

3ينظر روح المعاني –الألوسي –ج20–ص77 .

*الإسناد المجازي :أن التصديق حقيقة في المصدق ؛ فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب تصديق ،ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبُّب كما لابس الفاعل بالمباشرة .الكشاف –الزمخشري –ج3–ص– 449.

4 .الكشاف–الزمخشري–ج3–ص449.

5 سورة طه –الآيتان43–44.

6 سورة الشعراء–الآية 16.

7 ينظر تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي –ص10920.

وفي تطبيقنا لمبدأ السلّم الحجاجي ضمن حجة المقارنة، وجدنا أن الأقوال الواردة في الآيات السالفة الذكر تختلف من حيث التراتبية اعتمادا على منطق القوة والشدة والغرض التأثيري، وسنمثل لتراتب هذه الحجج بالشكل الآتي :

فإذا أردنا أن نقف على هذه الحجج المتباينة من منطلق أن الحجج ليست ضربا واحدا بل ضروب مختلفة، وجدنا أنها تختلف بحسب المقام الذي تتنزل فيه.

أما من حيث القوة والشدة في المدارج الحجاجية فسنوضحها كما يلي :

هارون أفصح من موسى وهي النتيجة الكلية.

أما الحجج التي تثبت هذه النتيجة فهي :

الأولى: تتمثل في وصف فرعون لموسى على أنه لا يبين في كلامه؛ أي أن به عاهة في لسانه.

الثانية: متمثلة في طلب موسى من ربّه أن يحلل عقدة لسانه ليُفهم ويتضح قوله.

الثالثة : وهي أقوى الحجج، عندما أقرّ موسى أن أخاه هارون أفصح منه لسانا، رغم أنهما فصيحان، وهي آخر حجة أحالت على النتيجة الكلية.

3.**الحجج القائمة على الاحتمال L'argument Par Le Probable** :

تقوم هذه الحجج على مبدأ النسبية، وتتعلق بما يمكن أن يحققه المرء من أهداف عن طريق التوقُّع؛ أي أنها تتمركز حول أن « الإيمان بأن المطلق نادر ،وأن الأمر لا يعدو أن يكون في أغلب الحالات محتملا»[1]،الأمر الذي يجعل هذا النوع من الحجج مجسدا في التواصلات اليومية بين البشر عسى أن يدرك المتخاطبون ضالتهم. ونظير ذلك في قصة موسى –عليه السلام– قوله تعالى: ﴿ ...

...

... ﴾[2]. فسياق آخر هذه الآي يدل على الاحتمال القائم على التمني والرجاء لدى امرأة فرعون التي كانت تأمل في جلب المنفعة والخير والأمل من جراء تربية موسى وتبنيه، ويتضح ذلك في قوله تعالى على لسانها﴿ ... ﴾، لأن موسى –عليه السلام– كانت تظهر عليه منذ صباه «مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله، وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وبرء البرصاء، ولعلها توسمت في سماه النجابة المؤذنة بكونه نفّاعا. أو تتبناه فإنه أهل للتبني، ولأن يكون ولدا لبعض الملوك»[3].غير أن آل فرعون لم يكونوا يتوقعون أن هلاكهم سيكون على أيديهم، وأنهم على خطأ عظيم فيما قاموا به وما يحتملونه ويتوقعونه وذلك في قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ وهي «حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له؛ أي وهم لا يشعرون أو هم على

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي–ص213.

[2] سورة القصص– الآيات7–9.

[3] الكشاف– الزمخشري–ج3–ص435.ينظر أنوار التنزيل –البيضاوي– ج4–ص172.روح المعاني –الألوسي–ج20–ص47 و48.

الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع والتبني له»[1]. وهو ما يفسر أن امرأة فرعون احتجت بالأمل المحتمل في جلب المنفعة على يد موسى–عليه السلام–، كما تمنت أن تتخذه ولدا وربما تبركت به لعلها تتجب مثله.فالأمل والترجي والتمني كلها أحاسيس ومشاعر قائمة على التوقع المستقبلي (الاحتمال)، وهو ما يمثل صورة حجاجية احتمالية .

كما نلمس حجة احتمالية أخرى على لسان موسى في قوله جل اسمه: ﴿......

....

....

....﴾[2]. فسياق الآيتين يدل على أن موسى –عليه السلام– قد ضل الطريق، وبعد أن رأى نارا طلب من أهله المكوث بالمكان، وأراد الذهاب إليها لعله يهتدي بها، أو يأتي بقطعة منها للتدفئة بها من البرد[3]. فموسى – عليه السلام – حاول أن يربط بين واقعه المتمثل في ضلال الطريق وبين العلامة(الإشارة– النار) التي توفقه إلى الاهتداء، إلا أن احتمالاته كانت عكس ما توقع، إذ لما أتاها ناداه ربه وناجاه﴿ ....﴾[4]. وذلك برهان من الله تعالى لِيُبَيِّن لموسى قدرته التي يهتدي بها، ولكي يعتمد عليه في حركاته وسكناته، الأمر الذي يمثل لنا صورة حجاجية قائمة على الاحتمال، وهذا الاحتمال أوصله بدوره إلى اليقين المتمثل في معرفة الله سبحانه وتعالى وإدراكه.

---

[1] أنوار التنزيل –البيضاوي – ج4 –ص172.

[2] سورة القصص– الآيتان29–30

[3] ينظر قصص الأنبياء–ابن كثير –ص244.

[4] سورة القصص–الآية 30.

الفصـــل الثانـي

الحجج المؤسسة على بنية الواقع

Arguments Fondés Sur La Structure Du Réel

1.روابط التتابع أوالتعاقب.

2. الغائية .

روابط التزامن أوالتواجد (التصاحب).

تتأسس الحجج المؤسسة على بينة الواقع على التجارب والوقائع والأحداث المتعالقة بين الأشياء المُكَوِّنة للعالم. وتستند في أساسها إلى الواقع؛ «فالمتكلم متى اعتمد هذا الصنف من الحجج، إنما يذهب في الواقع إلى أن الأطروحة التي يعرضها تبدو أكثر إقناعا كلما اعتمدت أكثر على تفسير الوقائع والأحداث، وأن الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه كلما انغرست مراجعه في الواقع وتنزلت عناصره فيما حدث وما يحدث»[1]. ومعظم هذه الحجج تقوم على ترابطات التتابع أوالتعاقب من قبيل علاقة السبب بالنتيجة(الحجج السببية أو البراغماتية)، و«يمثل بيرلمان لهذه الحجج بوجوه الاتصال التتابعي، بوصفها تضمن مظاهر الاتصال السببي كالربط بين بعض الأحداث المتتابعة بواسطة علاقات سببية أو استخلاص نتيجة ما بسبب حصول حدث أدى إليها، أو التكهن بما سيقع لو أن الحدث المُسَبب قد حصل»[2]. يتبين من خلال هذا الرأي أن الرابط بين الأحداث والوقائع يكون رابطا سببيا.

وقد أورد "بيرلمان perelman " مثالا توضيحيا لهذه العلاقات وهو قوله[3]:

اجتهد فنجح – نجح لأنه اجتهد– هو يجتهد فسينجح.

هذه الجمل كلها، ومهما كانت دلالة أفعالها الزمنية، فهي تحيل على نتيجة واحدة وهي النجاح، فالرابط بينها هو رابط سببي.

و تندرج تحت هذه الحجج –أيضا– حجة الغائية (حجة التبرير أو التبذير–حجة الاتجاه– حجة التجاوز)، وترابطات التزامن والتواجد (التصاحب)التي تتحقق من قبيل علاقة الشخص بأفعاله.ويبنى هذا الضرب من الحجج «على علاقة الشخص بعمله، ويمكن أن نمثل لها بقوله – صلى الله عليه وسلم –: "من حسن إسلام المرء

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه– سامية الدريدي–ص214.

[2] الحجاج في البلاغة المعاصرة– محمد سالم محمد الأمين الطلبة– ص130.

[3] المرجع نفسه– ص130.

تركه ما لا يعنيه"[1]، إذ يمكن أن نقول بأن المتعلم، بوصفه شخصا في جوهره، ليس فضوليا وعمل ترك ما لا يعنيه من تجليات حسن الإسلام»[2]. وسنحاول الوقوف عند هذه الحجج كلها موضحين أهم طرائق إجرائها في الخطاب القرآني المتعلق بقصة موسى. وعددها ثلاثة وهي روابط التتابع أو التعاقب والغائية وروابط التزامن والتواجد، ونمثل لهذه الحجج بالخطاطة التالية:

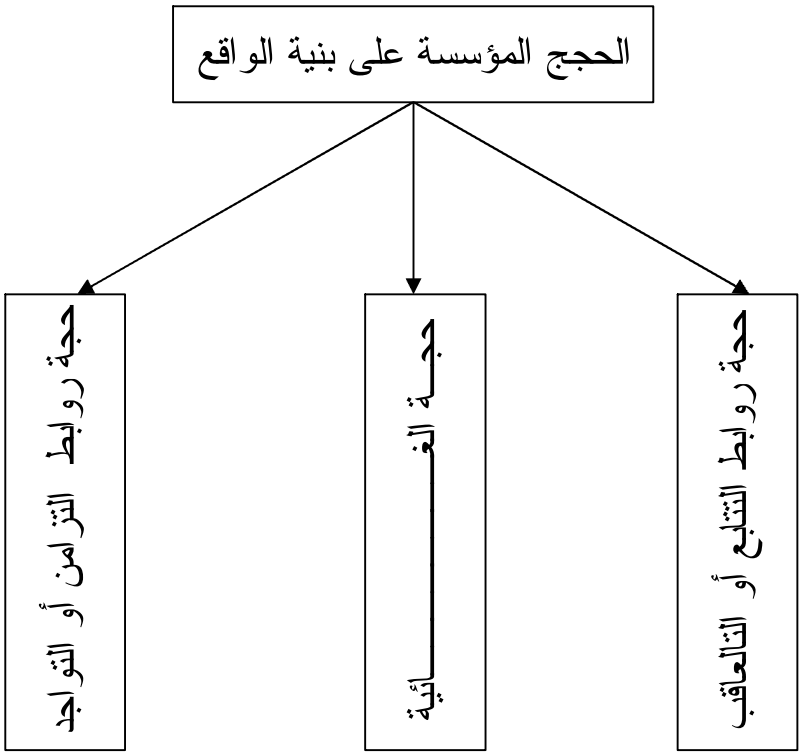

[1] موطأ الإمام مالك –مالك بن أنس–مصر–دار إحياء التراث العربي –تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي– رقم الحديث:1604–باب :ما جاء في حسن الخلق –ج2–ص903.(رواية :يحي بن يحي الليثي)

[2] التداولية والحجاج مداخل ونصوص–صابر الحباشة– ص48.

1.روابط التتابع أو التعاقب :(الحجة السببية والحجة البراغماتية):

تتمثل روابط التتابع أو التعاقب في تلك الروابط القائمة بين الأحداث على أساس سببي، وتكون فيها «الظواهر منتسبة إلى نفس الطبيعة[1]»؛ أيْ أنّ أيّ فعل يرتبط بفعل آخر يتقدم عنه أو يتأخر، فالعلاقة الأخيرة المترتبة عن تلازمهما هي التي تسمى الحجة البراغماتية .

تنطوي روابط التعاقب أو التتابع في الخطاب القرآني على غاية دينية نبيلة، وهي « إحداث التأثير في المتلقين للتجاوب مع المقررات العقائدية للقرآن»[2]. ونظير ذلك في قصة موسى تلك العلاقة التي جمعت بين موسى –عليه السلام – وفتاه والخضر، والتي وصفها الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿...

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الوالي–ص355.

[2] مقومات السرد الإعجازي في الخطاب القصصي القرآني –دراسة تحليلية نموذجية في سورة الكهف–رسالة ماجستير – دحماني نور الدين –ص307.

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . ﴾[1]. فسياق هذه الآيات يوجز لنا مجموعة

من الأحداث. تتعالق فيما بينها برابط سببي، مجسّداً في الصبر على طلب العلم. فموسى –عليه السلام– بعد أن لقي الخضر مباشرة استأذن منه في اتباعه شريطة أن يقتبس من ضياء علمه اللدني ليهتدي به. وكان الخضر أعلم من موسى وهي «تلك العلوم التي حصلت عنده من عند الله من غير واسطة»[2]. الأمر الذي أدى بموسى– عليه السلام– إلى طلب مصاحبة الخضر*.

فلو عدنا إلى تقصي أحداث هذه القصة، وجدنا أنها تقوم على ثلاث أفعال رئيسة قام بها الخضر وهي:

1– خرق السفينة.

2– قتل الغلام.

3– إقامة الجدار.

كانت هذه الأحداث كلها مستنكرة من طرف موسى –عليه السلام– في ظاهرها، لأنها كانت مخالفة للأعراف الإنسانية. وللشرائع السماوية التي ألفتها الأمم السابقة. كما طبعت تلك الأفعال «بـــهالة من الغموض،يشير ظاهر الأول والثاني منها إلى التورط في اقتراف الفساد والزيغ والباطل، في حين يدخل ظاهر الفعل الثالث منها

---

[1] سورة الكهف –الآيات 65–82

[2] التفسير الكبير ومفاتيح الغيب –محمد الرازي فخر الدين –ج10–ص230.

* اختلف في نبوة الخضر ،فريق رأى أنه نبيا بدليل أن الرحمة في قوله تعالى﴿ **آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا** ﴾. (رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة (من لدنا) مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب .(الكشاف–الزمخشري–ج3–ص77)وفريق آخر يرى أن الرحمة هي النعمة والعلم ؛ أي علم «الباطن إلهاما، ولم يكن الخضر نبيا عند أكثر أهل العلم .(معالم التنزيل–البغوي–المجلد5–ج15–ص188).ومن ثم انقسم أهل العلم إلى فريقين فريق يرى أن الخضر نبي، وآخر يرى أنه عبد صالح عالم بالعلم الباطني.

في دائرة رد الفعل المتجانف، وحدود المنطق.»[1].وإن كانت هذه الأفعال الإنجازية في مضمونها صوراً حجاجيةً تحمل ضمنيا سر العلم الخفي الذي أيّد الله به الخضر وخصه به، لأن تأويلاتها التي خلص إليها في النهاية جاءت بحقائق اجتماعية، ساهمت في بناء المجتمع والحفاظ على وحدته وتماسكه وإرساء قواعده الإيمانية.

وفي الإمكان توضيح تلك الأحداث وترابطاتها التي أدت إلى تعالقها فيما يأتي :

1.الفعل الإنجازي الأول (الخضر): ﴿.......... **فِي**........﴾[2]

– رد فعــل موسى : ﴿..........................﴾[3]

– فعل باطل مستنكر في ظاهره من طرف موسى.

2.الفعل الإنجازي الثاني (الخضر): ﴿..........................﴾[4]

–رد فعل موسى:﴿..........................﴾[5]

– فعل باطل مستنكر في ظاهره من طرف موسى.

3.الفعل الإنجازي الثالث(الخضر):﴿..........................

..........................﴾[6]

– رد فعل موسى : ﴿..........................﴾[7]

– فعل منطقي في ظاهره مقبول من طرف موسى، وإن كان ورود اللفظ على المعنى المجازي ولا يحتمل منه غير ذلك، فلا يمكن أن يحمل على الحقيقة،ووجه الاستدلال ظاهر حيث إن إسناد الإرادة إلى الجدار، وهو من جنس غير العاقل لا

---

[1] في مقومات السرد الإعجازي في الخطاب القصصي القرآني –دراسة تحليلية نموذجية في سورة الكهف– دحماني نور الدين – ص274.

[2] سورة الكهف –الآية71.

[3]سورة الكهف –الآية71 .

[4] سورة الكهف –الآية74 .

[5] سورة الكهف –الآية74.

[6] سورة الكهف –الآية77.

[7] سورة الكهف –الآية77.

يكون إلا من باب المجاز، في قوله تعالى: ﴿..................................﴾ والمعنى في سياق هذه الآية إن الجدار مائل ومشرف على السقوط وهذا استدلال قوي[1] إلا أنه اعترض عليه بمقابلته بأجر.

فهذه الأحداث الثلاثة كلها أسفرت عن ردة فعل عكسية سريعة من لدن موسى -عليه السلام- ،وذلك قوام النفس البشرية، كما أنذر به تعالى ﴿و........................ ...﴾[2]، التي تطبعها الحالات النفسية المختلفة، وتضطرب فيها الغرائز البيولوجية. كحب الاطلاع، وحب المعرفة، والقلق، والانفعال، وغيرها.

فرغم ما كان يعتري هذه النفس(نفس موسى) من أدب ولطف وتواضع والتزام بالطاعة والصبر، إلا أنه كان معلقا وعده بمشيئة الله، إدراكا لحزونة الأمر، وهو الشرط الذي وضعه الخضر للموافقة على صحبة موسى له، إذ قال له: «من شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفاجئني بالسؤال، ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من آداب المتعلم مع العالم، والمتبوع مع التابع»[3]. ولكن مهما حاول موسى ضبط نفسه، والتحلي بميزات الرصانة والهدوء والثقة، إلا أنه يتعجب بالاحتجاج في كل مرة بالحقيقة، وهي سمة من سمات البشرية التي فطروا عليها[4].

تميز ذلك الاحتجاج، بعد أن بلغ أوجَّهُ، بكونه السَّبب في إنهاء أطوار الرحلة بين موسى الخضر، لأن الخضر اعترض مبدأيا بإيعاز من الله تعالى على صحبة موسى، واحتج بعدم استطاعته الصبر عن السؤال .

[1] ينظر الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة -رسالة دكتوراه-إعداد: احمد عرابي- جامعة وهران-2003-2004.

[2] سورة الأنبياء-الآية37.

[3] الكشاف -الزمخشري - ج3-ص78.

[4] ينظر مقومات السرد الإعجازي في القصص القرآني -دراسة تحليلية نموذجية في سورة الكهف -دحمان نور الدين- ص274.

وبعد أن أعلن الخضر عن إنهاء العلاقة، شرع في البرهنة على صحة أفعاله، وهو يقر بحقيقة علمه الباطني الذي أودعه الله أياه، واتضح ذلك في جملة من التأويلات نوجزها كما يأتي[1]:

1.خرق السفينة ⟸ ﴿ . . . . . ﴾[2].

2.قتل الغلام ⟸ ﴿ . . . . . ﴾[3].

3.إقامة الجدار ⟸ ﴿ . . . . . ﴾[4].

من خلال هذه التأويلات حاول الخضر تبرير أفعاله المتتابعة بحجج تتعلق بأصحاب السفينة، والدي الغلام، والغلامين اليتيمين للرجل الصالح، وكل ذلك كان بإلهام من الله تعالى. وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام[5].

ومن هذا المنطلق يمكن التمثيل لهذه الأحداث المتتابعة بالجدول الآتي:

[1] الإنسان في القرآن الكريم مقاربة تحليلة فكرية لمبدأ الخلق الإنساني– محمد زعراط – رسالة دكتوراه– ص270.

[2] سورة الكهف –الآية 79.

[3] سورة الكهف –الآية 80.

[4] سورة الكهف –الآية 82.

[5] ينظر تفسير القرآن العظيم –ابن كثير– سوريا–دار القلم العربي–2004– ج3–ص102.

جدول تحليلي لروابط التتابع (التعاقب)المتعلقة بعلاقة موسى مع الخضر القائمة على الرابط السببي "حب التعلم"

الفعل	عمل الخضر	رد فعل موسى	نوع السؤال	النتيجة	جواب الخضر	جواب موسى	تأويلات الخضر
1- الخرق	خرق السفينة	أخرقتها لتغرق أهلها ؟	استنكاري	نقض الاتفاق المرجعي الأول	لا تستطيع الصبر.	الاعتذار الضمني عن عدم الصبر	الحفاظ على سفينة المساكين وحمايتها من الملك الغاصب
2- القتل	قتل الغلام	لماذا قتلت نفسا زكية؟	استنكاري	نقض الاتفاق المرجعي الثاني	لا تستطيع الصبر	الإقرار الضمني على الصبر	الخوف على والدي الغلام خشية حملهما على الكفر من طرفه
3-البناء	إقامة الجدار	لو شئت لاتخذت عليه أجرا	ضمني عن سبب قيام الخضر بهذا العمل من دون مقابل	نقض الاتفاق المرجعي	الفراق بيني وبينك يا موسى	؟	حفظ كنز اليتيمين حتى يبلغا أشدهما رحمة من الله تعالى.

فهذه الأحداث المتعاقبة جاءت كلها معللة بحجج لها صلة بالواقع الذي كان يحكم منطق التعايش في زمن موسى والخصر. والرابط السببي يتمثل في طلب المصاحبة بغرض نيل العلم مع محاولة الصبر، إلا أن الإقرار بحقيقة عدم الاستطاعة كان أشد وأقوى، لأن الإلهام أو النبوة حقيقة ظاهرة لا يمكن الحياد عنها أو العدول عما توحي به.

ويمكن أن نعثر حجة أخرى تعتمد على روابط التعاقب في قصـــة موسى- عليه السلام-، وتكمن في وحي المولى عز وجل إلى موسى بالخروج من مصر لاتّقاء شر فرعون وملئه، وقد تمثلت في قوله تعالى: ﴿..

....

....﴾[1]. فمقام هذه الآيات يبرز لنا الأحداث المتعاقبة بأمر من لدن حكيم عليم يدبر أمر عباده، إذ يبين تعالى مخبرا أنه أمر موسى، عليه السلام، حين أبى فرعون أن يرسل معه بنو إسرائيل، أن يسري بهم ليلاً، ويخلصهم قبضة فرعون. وطلب منه أن يجعل لهم طريقا يابسا في البحر بضربه؛ أي«{.......

.......} فاجـــعل لهم، من قـــولهم: ضـــرب له في مـــاله ســـهماً، وضـــرب اللَّبِنَ : عمله. اليبس: مصدر وصف به، يقال: يبس يبسا ونحوهما: العَدَمُ والعُدِمُ...والدَّرْكُ والدَّرَكُ اسمان من الإدراك؛ أي : لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك...ومن شأنك أنك آمن لا تخشى»[2]؛ أي لا تخف من أن يدرككم العدو. فاطمأن موسى ونفذ ما أُمِرَ به، وخرج هو وبنو إسرائيل وضرب البحر بعصاه، فانفلق وتوسطه طريق يابس، فسلكه موسى ومن آمن به، ثم لحقهم فرعون بجنـــوده بعد أن علم بهم، « ﴿.......﴾، أصـــابهم، ﴿.................﴾، وهو الغرق. [وقيل: غشيهم علاهم وسترهم بعض ماء اليم لا كله]. وقيل: غشيهم من اليم ما

[1] سورة طه – الآيات77-79.

[2] الكشاف –الزمخشري–ج3–ص156و157.وينظر أنوار التنزيل–البيضاوي– ج4–ص34.

غشيهم قوم موسى فغــرقوا هم، ونجــا موسى وقومــه »[1]. وفي ذلك دلالة على هلاك فرعون وملئه بالغرق.

فبعد وقوفنا على المعاني الواردة في سياق هذه الآي تبين أن هناك مجموعة من الأحداث تعاقبت وتتابعت كما يأتي :

1- الوحي لموسى بالسير؛ أي الخروج من مصر هو ومن آمن به من بني إسرائيل.

2- الضرب في البحر، ليبين لهم الطريق اليابس.

3- الاطمئنان بعدم الإدراك والخوف.

4- اتباع فرعون وجنوده لموسى .

5- غرق فرعون وجنوده.

6- إضلال فرعون لقومه وعدم هديهم سبل الرشاد.

فهــذه الأحداث التي تمثل صورة حجاجية تصب في نتيجــة واحــدة، تتعالق فيما بينها برابط سببي، يتجلى في اطمئنان موسى وضمان نجاته بإرادة العلي القدير.

تظهر حجة التتابع بموطن آخر في قصة موسى-عليه السلام-من خلال قوله جل بيانه: ﴿ ..... ﴾[2]، فسياق هذه الآيات يدل على أن الله تعالى أخرج فرعون وقومه مما كانوا يتمتعون به من بسط للخيرات بمصر، وأورثه بني إسرائيل الذين كان فرعون يستضعفهم ويستعبدهم. فالإخراج من نعم متعددة مثل مجموعة من الأحداث منها: الإخراج من الجنات؛ وهي البساتين، والإخراج من العيون؛ وهي الأنهار الجارية، والإخراج من الكنوز؛ وهي الأموال الكثيرة، والإخراج من المقام الكريم؛ وهي القصور المشيدة. ويُقال المنابر التي يعظم عليها فرعون، ومنها ميراث بني إسرائيل للمساكن التي كان يسكنها فرعون بعد غرقه[3].

---

[1] معالم التنزيل -البغوي-تحقيق: محمد عبد الله لنمر وزملاؤه-المملكة العربية السعودية-دار طيبة-1409هـ-المجلد5-ج16-ص287.

[2] سورة الشعراء – الآية 57-59.

[3] ينظر روح المعاني- الألوسي- ج19-ص82 و83.

فالإقصاء من هذه الدرجات العليا الدنيوية يمثل موقفا حجاجيا يستند على وقائع مُعَاشَة ومتعاقبة مكانياً، يربطها رابط سببي يتجلى في المن على بني إسرائيل من عند الله، جزاءً لهم بما صبروا عليه من الأذى الذي ألحقه بهم فرعون.

2- الغـــائـــية :

يعتبر الخطاب الحجاجي غائياً، إذ يسعى المحاجج من خلاله بلوغ غاية التأثير والإقناع[1]. ويتحقق التأثير والإقناع عن طريق الحجة الغائية، التي تتمظهر من خلال الأحداث المعيشة واقعيا، ويكون هدفها بلوغ غاية معينة، لأن « قيمة الشيء تتصل بالغاية التي تكون لها وسيلة»[2]، ومن ثم تحتل الغاية مكانة هامة لتبرر الوسيلة.

ونظير ذلك في قصة موسى قوله تعالى عز اسمه: ﴿ ..... ﴾[3]؛ أي بعد أن« استوسقوا فيه وتكاملوا وهمّ أولهم بالخروج منه أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم، فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم وتراكمت الأمواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت»[4]. وبعد أن حل بهم الغرق جميعا قال تعالى حكيا على لسان فرعون: ﴿ ..... ﴾[5]. قال الزمخشري: « كرر المحذوف المعنى الواحد* ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول، ثم لم يقبل منه

---

[1] ينظر النظرية الحجاجية- محمد طروس-ص90.

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه -سامية الدريدي-ص221.

[3] سورة يونس-الآيات90-93.

[4] تفسير القرآن العظيم-ابن كثير -ج2-ص429..

[5] سورة يونس-الآية 90.

* إقرار فرعون بالإيمان بعد كفره.

حيث أخطأ وقته، وقاله حين لم يبق له اختيار قط»[1]. وهذا دليل على أن فرعون آمن بعد أن أدركه الغرق وأيقن أنه لامناص منه، إلا أنه لم يؤمن بطريقة خالصة مباشرة، بل بطريقة ضمنية لم يخلص من خلالها إيمانه للمولى عز وجل.

ودليل ذلك قول المولى عز وجل تعقيبا على حكاية آل فرعون: { ... }، والمقصود منها كما جاء في بعض التفاسير« أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك؟ قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق، حين أوشك أن يغرق، وقيل: قاله بعد أن غرق في نفسه»[2]؛ أي أن إيمان فرعون لم يتحقق إقراراه في نفسه إلا بعد نزول العذاب واليأس من النجاة.

وبعد غرقه توعده العلي القدير بالحفاظ على جثّته، ليجعله برهانا لمن سولت له نفسه التعالي على الله تعالى.والنجاة بالبدن المتضمن في قوله تعالى: ﴿... ...﴾[3]. إنما قُصِدَ منها: «لتكون لمن يأتي بعدك من الأمم، إذا سمعوا حال أمرك، مِمَّن شاهد حالك وما عراك عبرة ونكالاً من الطغيان، أو حجة تدلهم على أن الإنسان وإن بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان، فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الألوهية والربوبية»[4]؛ فالألوسي يبرز من خلال قوله السابق لنا الغاية من إرجاء جثة فرعون إلى يوم القيامة، وهي التذكير بجزاء الكفر والتكبر والعلو في الحياة الدنيا.

تتنزل في سياق الغائية حجة أخرى هي"حجة التبذير Argument De Gaspillage" وهناك من يسميها حجة التبرير وأداتها " بما أن "[5]. وتقوم هذه الحجة على فكرة إتمام الأمر الذي ابتدئ فيه، وقد مثل لها "بيرلمان perelman " بقوله: «بما أننا قد بدأنا في إنجاز هذا العمل وضحينا في سبيله بالكثير، فإننا نكون، إن أعرضنا عن

---

[1] الكشاف –الزمخشري–ج2–ص380.

[2] الكشاف–الزمخشري–ج2–ص380.

[3] سورة يونس –الآية 92.

[4] روح المعاني –الألوسي–ج11–ص184.

[5] ينظر التداولية والحجاج–صابر الحباشة–ص48.

إتمامه، لكان ذلك مضيعة لجهودنا وبالتالي فإنه علينا أن نواصل إنجازه»[1]. وإذا كانت هذه الحجة تقوم على «ضرورة استكمال ما بدئ فيه وإتمام ما شُرع بعد في القيام به»[2]. فإن مثل هذه الحجة تظهر جلية في مواطن عديدة من الخطاب القرآني، ومنها في قصة موسى –عليه السلام– ما يرويه الذكر الحكيم من معاقبة آل فرعون على كفرهم وجحودهم، إذ يقول تعالى: ﴿ . . . . . ﴾[3]. فالله تبارك وتعالى سلط القحط والجوع على آل فرعون لعلهم يتعظوا فيؤمنوا، لكنهم أعرضوا عن ذلك، فإذا جاءهم الخير والرخاء، رأوا أنهم أحق بذلك وأهل له، وإذا حل بهم الجوع والقحط والبلاء والشدة تشاءموا بموسى ومن هم على دينه، ظنا منهم أنه السبب فيما حل بهم. وقيل: إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا في الحياة الدنيا. وهم لا يعلمون.[4] فالشؤم الذي سيلحق آل فرعون في الآخرة هو بمثابة امتداد لما حل بهم من عقاب في الحياة الدنيا، فهذه مقدمة العمل وبدايته.

وبعد أن أشعرهم الله بقدرته وعظمته، أعرضوا عن ذلك بقولهم: لا نؤمن لك يا موسى مهما كلفت نفسك في إقناعنا وبشتى الأدلة والسبل، (ومهما) ههنا هي « ما المضمنة معنى الجزاء ضُمَّت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء»[5]، كما سموا آل فرعون البرهان آية، وهو ما أكده الشعراوي بقوله: « وسموا ما جاء به موسى آية

---

[1] الحجاج في البلاغة المعاصرة–محمد سالم محمد الأمين الطلبة–ص130.

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي–ص224.

[3] سورة الأعراف–الآيات130–133.

[4] ينظر الكشاف– الزمخشري –ج2–ص190.روح المعاني –الألوسي–ج9–ص31و32.

[5] الكشاف–الزمخشري–ج2–ص190.

استهزاءً منهم وسخريةً»[1]. وإذ بدر منهم كل ذلك أبى الله إلا أن يتم عذابه عليهم، فأرسل عليهم جملة من الآيات تمثلت في[2]:

1- **الطوفان:** وهو ما طاف بهم من ماء ومطر وسيل وغلبوا على التصدي له، وقد طغى على بيوتهم وحروثهم، ودام ذلك ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون فيها شمسا ولا قمرا. فطلبوا من موسى الدعاء، فدعا ربه فرفع عنهم العذاب فنبت لهم تلك السنة من الزرع والكلاء ما لم يُعهد مثله فقاموا شهرا، وما آمنوا بموسى وبآياته.

2- **الجراد** : بعث الله عليهم الجراد فأكل كل ما زرعوا، بل والأبواب وسقوف المنازل وكل ما يمتلكون، ففزعوا إلى موسى ثانية و وعدوه بالتوبة، فدعا موسى ربه فانقذهم منه بعد سبعة أيام، ثم عادوا إلى كفرهم فأقاموا شهرا مرة أخرى.

3- **القمل** : وهو الحِمنان*. وفي قول أبي عبيدة: كبار القِرداء، وقيل: الدَّبَا، وهو أولاد الجراد. قيل: نبات أجنحتها، وقيل: البراغيث، وعن سعيد ابن جبير: السُّوسُ. فأتى على كل ما أبقاه الجراد وعم حتى منازلهم وممتلكاتهم فعادوا إلى موسى ثانية فدعا ربه، فكشف عنهم العذاب. فرموه بالسحر وأعادوا كرة الكفر.

4- **الضفادع:** عمت هذه الحيوانات مياههم وأوانيهم ومن حولهم، فشكوا موسى الأمر وتعهدوا بتوبة نصوح، فدعا موسى ربه، فكشف الله عنهم ذلك ثم نقضوا العهد .

5- **الدم:** صارت مياههم كلها دما وعمت كل ساقية وبئر.

كل هذه الآيات التي أنزلها الله تعالى هي «مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيرُه، وأنها عِبرةٌ لهم، ونقمةٌ على كفرهم، أو فُصِلَ بين بعضها وبعضٍ بزمانٍ تُمتحن فيه أحوالُهم، وينظر: أيستقيمون

---

[1] تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي – ص4318.

[2] الكشاف– الزمخشري–ج2–ص191 و192.

* الحمنان: صغار القردان، والقردان دويبات صغار معروفة (الكشاف –الزمخشري–ج2–ص192.)

على ما وعَدوا من أنفسهم، أم ينكثون إلزاما للحجة عليهم؟»[1]. فالآيات الظاهرات هي من دلائل قدرة الله على مواصلة عقاب آل فرعون.

فحجة التبذير تكمن في أن الله تعالى أسرع في أخذهم بالقحط والجوع ثم أكمل في مراودتهم على الإيمان به، لكنهم لم يفعلوا. فأرسل عليهم وابلا من العذاب: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، إلا أنهم استكبروا عن كل هذا وكانوا مجرمين.

تشمل الغائية حجة ثانية هي: "حجة الاتجاه Argument de direction " وهي حجة تقوم في مجملها على التحذير؛ « كالتحذير من مواصلة التنازلات في أمر ما، لأن سلسلتها إذا دأبت فلن تنتهي، أو التحذير من انتشار ظاهرة ما بحجة أنها قد تصيب المجاور لها بالعدوى l'argument de contagion . ويكثر هذا النوع الحجاجي خاصة في القضايا الأخلاقية»[2]. كما نجدها في القضايا الإرشادية والتوجيهية والعقائدية، وهو ما أكده "أوليفي روبول Olivier Reboul " حين نص على أن حجة الاتجاه تقوم على رفض الأمور المعترف بجودتها ومقبوليتها، لأنها قد تؤدي إلى نتيجة عكسية غير متوقعة، الأمر الذي يجعله يقرأن رفضها قد يؤدي إلى نتيجة يتحاشى حدوثها[3].

تعتبر حجة الاتجاه من الحجج التي اعتمدها قوم موسى الذين عبدوا العجل، فندموا على ما فعلوه وانتهت بهم السبل إلى طلب الرحمة والمغفرة من الغفور الرحيم. ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ ..... ﴾[4]؛ فقوم موسى –عليه

[1] الكشاف– الزمخشري–ج2–ص193.

[2] الحجاج في البلاغة المعاصرة–محمد سالم محمد الأمين الطلبة –ص130.

[3] ينظر الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأسالبيه–سامية الدريدي–ص225

[4] سورة الأعراف –الآيتان148–149.

السلام- صنعوا بإيحاء من السامري، وفي غياب موسى، عجلا من الحلي التي ورثوها عن آل فرعون. ولما سمعوا من العجل خوارا اغتروا به واتخذوه إلها وعبدوه جهلا، رغم اعتراض هارون الذي خلف موسى في أهله، كما تبين من قوله تعالى: ﴿ ﴾[1]. ففي هذه الآية تتضح فكرة التحذير التي تبناها هارون في دعوته مع بني إسرائيل بعد غياب أخيه موسى. وكانت النهاية أنهم لم يطيعوه ولم يتبعوه. فبينما هم سائرون على دربهم إذ يقول تعالى : ﴿ ﴾[2]، فعلموا جميعا أن هذا المجسم لا يتكلم، ولا يجيب عن سؤال ولا«يملك ضرا ولا نفعا، ولا يهدي إلى رشد، اتخذوه وهم ظالمون لأنفسهم، عالمون في أنفسهم بطلان ما هم عليه من الجهل والضلال»[3]. فلما أدركوا ما هم فيه رفضوه، وندموا على ما صنعوا، وهو ما بينه المولى -عز وجل- في الذكـــر الحكيم بقولـــه: ﴿ ﴾[4]. فالندامة على الفعل هي بمثابة إنزال التوبة المكفرة، والتجاوز عن الخطايا، فأقسموا بالله إذا لم يرحمهم ويغفر لهم لكانوا من الخاسرين، واللام الأولى للقسم والثانية لجوابه[5]. وههنا يتحقق رفض السلوك الذي كانوا عليه من ذي قبل، لأنه قد يؤدي بهم إلى غاية لم يكونوا يتمنونها(الخسران)، وهو ما يمثل حجة الاتجاه القائمة على الرفض.

[1] سورة طه -الآيايتان90-91.

[2] سورة الأعراف-الآية 148.

[3] قصص الأنبياء -ابن كثير -ص296.

[4] سورة الأعراف -الآية 149.

[5] ينظر روح المعاني -الألوسي-ج 9-ص65.ومعالم التنزيل -البغوي -المجلد3-ج9-ص283.

3. روابط التزامن أو التواجد (التصاحب):

تقوم حجة التعايش على العلاقة بين المصدر وما ينتج عنه. وتتدرج تحتها أمور عديدة منها: التداخل بين الشخص والعمل، وعلاقة الحجة بالسلطة مهما كان نوعها، وعلاقة الرمز بأطرافه المكونة له[1]. وهناك من حصرها واختزلها في«علاقة الذات بصفاتها أو الشخص بأفعاله...وتتمثل في تفسير حدث أو موقف أو التنبؤ به انطلاقا من الذات التي يعبر عنها أو يجليها ويوضحها»[2]. وتظهر في سياق وصفه تعالى لبني إسرائيل في قوله تبارك اسمه: ﴿ ....

....

.... ﴾[3]. فالله سبحانه جمع في هذه الآية بين صيغتي الماضي والمستقبل «للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده»[4] في بني إسرائيل، وبعد ذلك أورثهم هذه الأرض بنواحيها وخيراتها المختلفة، التي كان يتنعم بها فرعون وملئه جزاء بما صبروا؛ أي «بسبب صبرهم، وحسبك به حاثا على الصبر، ودالا على أن مَن قابل البلاء بالجزع وكَّله الله إليه، ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضَمِنَ الله له الفرج»[5]. فالمولى القدير وعد بني إسرائيل الجزاء الحسن بما صبروا عليه من الأذى، والصبر من الصفات الحسنة المتعلقة ببني إسرائيل، بل كان الصبر سببا في المَنِّ عليهم، ومفتاحا للفرج، إضافة إلى الضعف في المواجهة، فالصبر والضعف عاملان لتحقيق الفوز والنجاة. ففوز ونجاة بني إسرائيل لم يتحقق إلا بعد صبرهم على إذلال فرعون إياهم، الأمر الذي يمثل حجة التعايش القائمة بين بني إسرائيل وأعمالهم وصفاتهم.

---

[1] ينظر الحجاج في البلاغة المعاصرة–محمد سالم محمد الأمين الطلبة–ص130–131؛ التداولية والحجاج –صابر الحباشة–ص48

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي –ص228.

[3] سورة الأعراف–الآية 137.

[4] روح المعاني –الألوسي –ج9–ص37.

[5] الكشاف– الزمخشري–ج2–ص194.

أما الحجة التي تقوم على علاقة الشخص بأفعاله والتي «تَبني في جوهرها على اعتبار الصلة وثيقة بين أي شخص وأعماله وخاصة على مبدأ ثبات الشخصية، بحيث إن قامت على فعل معين أو اتخذت موقفا محددا، فلأنها عرفت بخصال معلومة منذ زمن بعيد وستظل كذلك ما بقيت على قيد الحياة»[1]. وتتجلى هذه الحجة في شخصية موسى–عليه السلام – بصفاتها وشمائلها المتعددة وأعمالها، ونظير ذلك في قصة موسى–عليه السلام– قوله تعالى: ﴿ ﴾[2]. وفي هذا الشـــأن قال ابن كثـــير:« أي وأجبنا سؤاله وشفاعته في أخيه، فجعلناه نبيا...ولهذا قال بعض السلف: ما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون أن يكون نبيا»[3]، فموسى وصف بالشفاعة لأخيه عندما طلب من الله تعالى أن يجعله وزيرا له فجعله نبيا. ومن صفاته الصبر، ويتضح ذلك في الحديث الذي رواه البخاري حيث قال: «حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة ،حدثنا الأعمش، سألت أبا وائل قال: سمعت عبد الله قال: قسم رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قسما، فقال رجل: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي –صلى الله عليه وسلم– فأخبرته، فغضب، حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال :"**يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**"[4]»[5]. إضافة إلى الصبر الذي تميز به، فقد اتصف أيضا بالقوة والأمانة، وهو ما يتضح في قوله تعالى: ﴿ ﴾

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي –ص229.

[2] سورة مريم –الآية 53.

3 تفسير القرآن العظيم –ابن كثير–ج3–ص129.

[4] صحيح البخاري –البخاري–تحقيق: زهير بن ناصر الناصر–دار طوق النجاة–ط1–1422 هـ–رقم الحديث3405 – باب : حديث الخضر مع موسى – ج4–ص158.

[5] قصص الأنبياء –بن كثير ص330.

﴾[1]. فدليل القوة التي يتميز بها موسى تكمن في سقيه للمرأتين، لأنهما لم تتمكنا من سقي أغنامهما، وإنما «كانتا تذودان؛ لأن على الماء من هو أقوى منهما فلا تتمكنا من السقي ...فإن قلت: كيف طابق جوابهما سؤاله؟ قلت: سألهما عن سبب الذود فقالتا: السبب في ذلك أننا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم، فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا، وما لنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ كبير قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به»[2]، فرقّ قلبه لضعفهما رحمة بهما «فجاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده، ثم استقى لهما وسقا غنمهما، ثم رد الحجر كما كانت. قال أمير المؤمنين عمر: ولا يرفعه إلا عشرة رجال وإنما استقى ذنوبا واحدا فكفاهم »[3]. فدليل قوته يكمن في رفعه الحجر الذي كان على فوهة البئر، وهو ما يفسر علاقة فعل السقي الذي من شرطه القوة بشخصية موسى الطموحة المقدامة وغير المترددة، التي تستسهل كل صعب عسير المنال، والتي تنقاد بدورها خلف دافع الفضول المحمود.المؤدي إلى فعل الخير[4]. فحجة التعايش تكمن في أن موسى لم يحقق فعل السقي إلا عن طريق القوة التي وهبها الله إياه. فكانت هذه الأخيرة سببا في إثبات صفة القوة المتعلقة بشخصية موسى عليه السلام.

أما صفة الأمانة فتبدو في قوله تبارك وتعالى: ﴿

﴾[5]. فمقام الآية الأخيرة تتنزل فيه صفتي القوة والأمانة.

---

[1] سورة القصص–الآيات 22–24.

[2] الكشاف– الزمخشري –ج3–ص441 و442.

[3] قصص الأنبياء –ابن كثير–ص230.

[4] ينظر مقومات السرد الإعجازي في الخطاب القرآني دراسة تحليلية نموذجية في سورة الكهف– دحمان نور الدين– ص272.

[5] سورة القصص–الآيتان 25–26.

فالقوة أشرنا إليها سلفا، أما صفة الأمانة التي يتحلّى بها. فقد قال فيها البغوي: «خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته: فإنه رفع حجرا من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة، وقيل إلا أربعون رجلا، وأما أمانته: فإنه قال لي أمشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك»[1]. وهذا دليل قاطع على أمانته، وهي صفة متعلقة بشخصه وبذاته، وهي ميزة من ميزات النبوة، وسلوكه هذا كان بمثابة تثبيت لتلك الصفة وإقرارا لها. فحجة التعايش تظهر في أن أمانة موسى لم تتحقق للمرأة وأبيها إلا بعد أمره لها بالذهاب خلفه، ومن ثم أدركت أن الأمانة صفة من صفات موسى عليه السلام.

وبالموازاة مع الحجة المُؤَسَّسَة على علاقة الشخص بأفعاله، يبرز نوع آخر من الحجج المبنية على التصاحب وهي حجة السلطة(Argument D'autorité) والمقصود بالسلطة –ههنا–سلطة الشخص التي يوظفها لحمل المتلقي على الإذعان، انطلاقا مما يعتقده ويتوسَّمه فيه، و«تتمثل في الاحتجاج لفكرة أو رأي أو موقف اعتمادا على قيمة صاحبها»[2]. وتتجلى حجة السلطة ضمن قصة موسى في ادعاء فرعون الربوبية وذلك في قوله تعالى: ﴿ ..... ﴾[3]، ففرعون، بعد أن جمع السحرة والجنود الذين أرسل في طلبهم، وجاءوا من مختلف المدن، قام ونادى في ٍ« المجمع بنفســـه أو بمنـــاد: ﴿ ..... ﴾ أعلى كل من يلي أمركم» [4]. فقيمة الخطاب الحجاجية في هذا الموقف تتعلق بقيمة القول، «وقيمة القول هنا إنما يستمدها ويكتسبها من سلطة قائله ومكانته وقيمته الاجتماعية»[5]، فلولا المَلَكِية والحكم اللذان كانا يتميز بهما فرعون لما استطاع أن

[1] معالم التنزيل – البغوي–المجلد 6–ج20–ص202.وينظر قصص الأنبياء– ابن كثير–ص241.

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي–ص232.

[3] سورة النازعات–الآيتان 23–24.

[4] أنوار التنزيل –البيضاوي – ج5–ص284.و ينظر روح المعاني– الألوسي–ج30–ص30.

[5] الحجاج في البلاغة المعاصرة–محمد سالم محمد الأمين الطلبة–ص131.

يكره السحرة وأهل المدائن على القول بألوهيته، فقوة الحجة كانت أبلغ وأقوى لأنها كانت موجهة من آمر (سلطة–مرسل) إلى مأمور(شعب–متلقي) .

مما يقرب من حجة السلطة الحجة الرمزية(Argument De Symbole)، بل تكاد تكون جزءاً منها، لأن للرمز سلطة و«قوة تأثيرية في الذين يقرون بوجود علاقة بين الرامز والمرموز إليه، كدلالة العلم في نسبته إلى وطن معين، والهلال بالنسبة إلى حضارة الإسلام والصليب بالنسبة إلى المسيحية والميزان إلى العدالة»[1]. وإذا أردنا أن نُعمِّم مفهوم الرمز في كل الحضارة الإنسانية، لاعتبار تجليه فيها، وقوته التأثيرية الإقناعية فيُقصد به« تلك الاستعارات المستخدمة عند الإنسانية كلها بنفس المعنى سواء دلّت على مجرد، أو على غيره، وخصوصا حينما تكون هذه الاستعارات ذات حمولة أسطورية وبدائية»[2]. فالرموز الاستعارية سواء دلت على المجرد أو على المحسوس فإنها تؤدي دلالة معينة، خاصة إذا كانت، متعلقة بالأساطير وتاريخ الأمم البدائية.

وردت لفظة الرمز في ظاهر الخطاب القرآني عندما طلب سيدنا زكـــريا – عليه السلام– من المولى القدير أن يجعل له آية (علامة) للدلالة على حمل زوجه بعد كبره، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ..... ﴾[3]؛ فالله تعالى أجاب زكريا –عليه السلام– بألا يكلم الناس إلا بالرموز ثلاثة أيام؛ يعني أن يتواصل مع الناس بالإشارات لا بالكلام، ويقال الرمز بالشفتين والحاجبين، والإيحاء باليد والرأس، وهناك من يرى أنه مُنع من الكلام عقوبة له، لأنه بُشِّر بالولد فسأل آية، فحبس الله لسانه عن الناس، لا عن الذكر والصلاة، ثلاثة أيام. ورأى البعض أنها كرامة له، حين جُعلت له علامة لظهور الحمل، ومعجزة له[4].

---

[1] التداولية والحجاج –صابر الحباشة –ص48.

[2] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية–محمد الولي–ص394.

[3] سورة آل عمران–الآية 41.

[4] ينظر الكشاف –الزمخشري–ج1–ص317.

فزكريا –عليه السلام–وظف حجة الوهاب الرمزية في فضائه الخاص الذي ينتمي إليه، و«الواقع أن مؤسس الخطاب الحجاجي أيا كان هذا الخطاب، يعي عادة الفضاء الذي يتحرك فيه خطابه، ويعرف ضرورة الرموز المعبرة عن انتماء متلقيه الثقافي والاجتماعي، فيوظفها بطريقة ذكية تمكِّن من الإقناع والحمل على الإذعان»[1]. فالمحاجج بالحجة الرمزية يحمِّلها بعدا اجتماعيا وذاتيا يسعى من خلاله إقناع المتلقي بما يصبو إليه.

وقد وردت الحجة الرمزية في قصة موسى–عليه السلام– في قوله تعالى﴿ .....

.....

.....﴾[2]؛ فبعد أن بعث الله طالوت ملكا على بني إسرائيل، بعد طلبهم ذلك من نبيهم "إسماعيل بن هلقان"، بعد اعتداء جالوت الكافر وجنوده عليهم، تعهدوا بالقتال، فلما كُتب عليهم القتال، أعرضوا عنه، ولم يثبتوا إلا قليلا منهم.

فاختار الله لهم طالوت ملكا وأرسله إليهم، فتسألوا عن سبب ملكه، رغم ما أمده الله به من فضيلة في العلم والجسم[3]، ورأوا بأنهم أحق بالملك منه، فقال لهم نبيهم: إن علامة ملكه أن يأتيكم بالتابوت وهو رمز ملكه، و«(التابوت)صندوق التراث، وكان موسى –عليه السلام– إذا قاتل قدمه، فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون. والسكينة السكون والطمأنينة...وكان رفعه الله بعد موسى، فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طـــالوت»[4]. فنزول التابوت هو حجة رمزية تؤكد الاصطفاء والملك الذي خص الله به طالوت، والدلالة

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي–ص237.

[2] سورة البقرة–الآية 248.

[3] ينظر معالم التنزيل–البغوي–المجلد1–ج2–ص298.

[4] الكشاف– الزمخشري–ج1–ص264.

الرمزية تنبثق من عرف الاتفاق المبرم بين بني إسرائيل ونبيهم "إسماعيل بن هلقان".

نخلص في النهاية إلى أن المحاجج بالحجج المؤسسة على بنية الواقع لا يتعدى فضاء الأشياء التي يقدمها الواقع، ويبقى حبيس حدود الربط بين الوقائع المتعايشة أو المتتابعة. كما أننا نسعى من خلال هذه الحجج إلى التأكيد على فكرة واقعية معينة قائمة على فكرة واقعية أخرى، تتعايشان مكانيا وتتعاقبان زمانيا.

الفصـــل الثالـــث

الحجج المؤسسة لبنية الواقع(المُبَنْيِنَة للواقع)

I- الحجج المُبَنْيِنَة للواقع التي تعتمد على الحالات الخاصة.

1. الشاهد
2. المثال
3. القدوة

II- الحجج المُبَنْيِنَة للواقع التي تعتمد على التمثيل

1. التشبيه
2. الاستعارة
3. التناسب

تلتحم الحجج المؤسسة لبنية الواقع بالواقع التحاما وثيقا وتسعى إلى تأسيسه، لأن هدفها هو الربط بين الأحداث المعاشة أو المتتابعة، وهو ما أكدته "سامية الدريدي" في حديثها عن الحجج المؤسسة لبنية الواقع والتي« تربطها صلة وثيقة بالواقع ولكنها لا تتأسس عليه ولا تتبني على بنيته، إنما هي التي تُؤسِّس هذا الواقع وتبنيه أو على الأقل تكمله، وتُظْهر ما خفي من علاقات بين أشيائه، أو تجلي ما لم يتوقع من هذه العلاقات وما لم يُنتظر من صلات بين عناصره ومكوناته»[1]فالاستدلال عن القضايا في هذا الضرب من الحجاج يكون بقضايا أخرى ترتبط بها مكانيا وزمانيا ورمزيا. وتقوم هذه الحجج في جوهرها على مستويين اثنين هما:

1- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة كالشاهد والمثال والقدوة.

2- تأسيس الواقع بواسطة التمثيل كالتشبيه والاستعارة والتناسب.

ويمكن توضيح ذلك في الخطاطة الآتية:

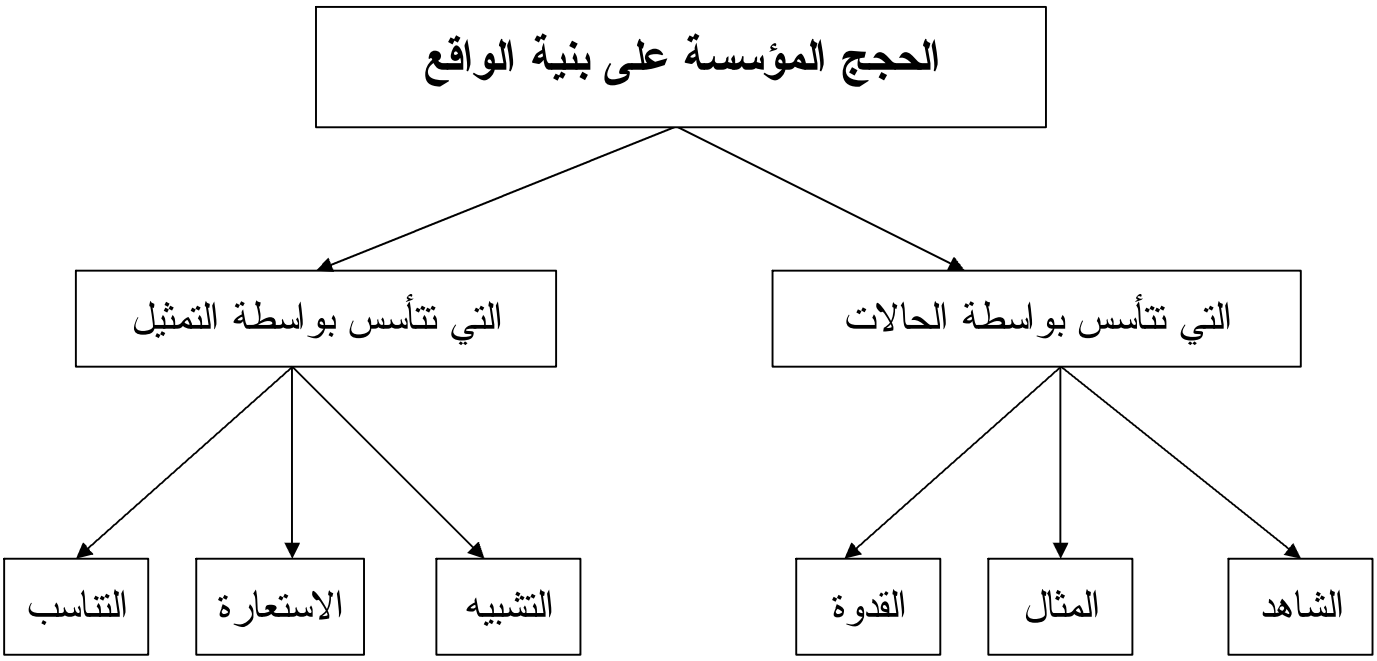

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه -سامية الدريدي-ص242.

I. الحجج المُبَنْبِنَة للواقع التي تعتمد على الحالات الخاصة:

يسعى هذا النوع من الحجج إلى إثبات أو توضيح أو تقوية قاعدة معينة، ويختصر "بيرلمان Perelman "وظائف هذه الحالات الخاصة بعبارته «ففي حال الشاهد ستسمح ه بالتعميم، وفي حال المثال ستسمح بدعم قاعدة قائمة سلفا وفي حال القدوة ستدعو إلى الإقتداء»[1]. ويعتمد هذا الصنف من الحجج في تأسيسه على ثلاثة أنواع من الحجج وهي :

I-1.الشاهد (exemple) :

يُوَظّف الشاهد لإثبات أطروحة معينة من طرف المحاجج بغرض إقناع المتلقي، ويسعى الشاهد إلى الربط بين المتفقات في الجنس وقد أشار "فرانسوا موروFrançois Moreau" إلى أصوله المباشرة في البلاغة اليونانية التي تمثلت لدن أرسطو وسيسيرون وكنتليان الذين ألحوا على احتياج الخطيب إلى المعرفة العميقة والعلم الدقيق بشواهد التاريخ والميثولوجيا والخرافات البطولية أيضا. وقد حده بوصفه « قصة موجهة لاستخدامها كدعامة تبريرية»[2]؛ أي أنه يُستخدم للربط بين الأشياء التي تنتمي إلى الجنس أو النوع نفسه. وقد مثل لذلك بعلاقة موسى مع بني إسرائيل إذ يقول: « أعتَبرُ أن موسى كان أَلْين رجل على وجه الأرض في وقته وقد كان يعاقِب بشدة المتمردين والعصاة من شعب إسرائيل»[3]، فـــ"فرانسوا موروFrançois Moreau" وظّف اسم موسى –عليه السلام – كشاهد لإثبات الليونة والشدة في تعامله مع بني إسرائيل، باعتبارها واقعة حقيقية قديمة لاستخلاص فائدة أو إشارة إلى السلوك الذي ينبغي اعتماده.

كما تناول "إرنست روبير كورتيوس " مفهوم الشاهد وعرّفه بقوله: «إن الشاهد هو إضفاء القبول على فكرة باللجوء إلى حدث قديم واقعي أو خرافي أو أسطوري أو

---

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الولي –ص403.

[2] البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية–فرانسوا مورو –ترجمة: محمد الولي وعائشة جرير–المغرب–دار الخطابي للطباعة والنشر –ط1–1989–ص38.

[3] المرجع نفسه – ص38.

منتم إلى التراث الأدبي، أو حدث صناعي احتمالي أو خيالي، فنُسلِك هذه الفكرة أو الواقعة المطروحة ضمن نفس الخيط الذي يُسلَك فيه الحدث القديم أو الموروث، فنعتبرهما معا يندرجان ضمن نفس الصنف من الوقائع. إننا نُضفي القبول على الفكرة المطروحة وغير المقبولة، بسلكها ضمن جنس الحديث القديم الذي يحظى عندنا بالقبول. إن الواقعة القديمة التي يُسند بها الشاهد ينبغي- تبعا لهذا- أن تكون واضحة ومعروفة ومقبولة أو احتمالية»[1]. أي أن قبول الأطروحة من طرف المتلقي والتي تعتمد بدورها على الشاهد للإقناع ترتهن بالمعارف المشتركة بينه وبين المحاجج.

فمحاولة إثبات الدعوى ينطلق من واقعة قديمة لتأسيس واقعة حديثة يسعى المحاجج لتحقيقها وإقناع المتلقي بها. ومن نماذج هذه الحجة في قصة مـــوسى – عليه السلام- قوله تبارك اسمه: ﴿ ..... ﴾[2]. يُرْوى في توضيح الحدث الأول من هذه القصة أن أخت موسى جاءت بإيعاز من أمها « متعرِّفة خبره، فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثدييها؛ وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة، فقالت: هل أدُلُّكم؟ فجاءت بالأم فقبِل ثديها، ويروى أن آسية استوهبته من فرعون، وتبنته، وهي التي أشفقت عليه، وطلبت له المراضع»[3]. فأخت موسى استطاعت أن تؤسس واقعا ممثلا في تحقيق عملية الرضاعة انطلاقا من حقيقة واقعية هي إرضاع الأم لابنها، وهو ما جرت به العادة. لأن الملأ آنذاك احتاروا وشككوا في الأمر حتى هموا بمساءلتها، وقالوا: «هل تعرفين هذا الصبي؟ فقالت: لا، ولكن أعلم من أهل هذا البيت الحِرس على التقرب إلى الملكة والجد في خدمتها ورضاها، فتركوها وسألوها الدلالة،

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الولي –ص401

[2] سورة طه –الآية 40.

[3] الكشاف–الزمخشري–ج3–ص145 و146.

فجاءت بأم موسى، فلما قرَّبته شرب ثديها، فسُرَّت آسية وقالت لها كوني معي في القصر»[1]. فعلاقة الرضاع الفطرية القائمة بين الأم وابنها، إضافة إلى قدرة الله تعالى هي ما جعلت موسى يقبل ثدي أمه ويمتصه.

فالواقعة اعتمدت على الأحداث ذات الطبيعة الواقعية وذلك ما أكده "بيرلمان Perelman " بقوله: « إن الشاهد المستعمل ينبغي له، لكي يُفهم باعتباره كذلك أن يتمتع بوضع الواقعة [أي الوجود العيني أو الفعلي]، على الأقل مؤقتا. إن أكبر امتياز لاستعماله هو لفت النظر إلى هذا الموضع»[2]. فأخت موسى استطاعت أن تقنع من كان حوله بعملية التكفل والرضاع، وأثبتت أطروحتها من خلال الربط بين حاجة موسى لحليب أمه، وهي غريزة في المواليد وبين قلق أمه عليه، وأمل رؤيته للاطمئنان عليه، وذلك بإلهام من الله تعالى.فقد فرض الشاهد –ههنا– لقبول الأفعال بالاعتماد على الأحداث المنجزة واقعيا.

I-2.المثال (Illustration) :

يسعى المحاجج من خلال الاستدلال بالمثل إلى توضيح فكرة أو أطروحة معينة، «ويبدو المثل واضحا بوصفه التعبير عن فكرة معينة بواسطة صورة ما، إن إحداهما تعوض الأخرى اعتمادا على علاقة مشابهة»[3]، وهو بهذا يسمح «بدعم قاعدة قائمة سلفا»[4]، الأمر الذي يجعله يختلف عن الشاهد الذي يسعى إلى إثبات وتأكيد قضية معينة، وذلك حسب الوظائف المسندة لكل منهما في تحقيق عملية الإقناع أو الحمل على الإذعان.

للمثل دور أساسي في تحقيق العملية التواصلية، إذ «يتم الاستدلال أحيانا كثيرة بناء على المثال المفرد المعزول الذي يُعتمد لتعميم حكم ما أو فكرة معينة، فيتأسس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها بحيث تصبح حالة عامة لا مجرد حالة

---

[1] البحر المحيط–أبو حيان الأندلسي–ج7–ص332.

[2] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية–محمد الولي–ص405.

[3] البلاغة :المدخل لدراسة الصور البيانية–فرانسوا مورو–ص37.

[4] المرجع نفسه–ص403.

خاصة، ثم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها»[1].فالتمثيل يلجأ إليه المحاجج لدعم القضية المطروحة وتوضيحها أكثر،لأن المثل« يعتبر حجة قياسية تقوم على المشابهة، وقد يكون خياليا أو حقيقيا»[2]، ويعتمد عليه كتقنية لشد انتباه المخاطب أكثر وحمله على الإذعان.

احتل أسلوب التمثيل في الخطاب القرآني حيزا واسعا« ليكون إحدى الوسائل التي تأخذ طريقها إلى النفس الإنسانية لتثبيت دعائم الإيمان فيها، إذ لا يكفي أن يُساق المعنى الكلي المجرد ليكون جامدا أمام التصوُّر البشري، بل كان لابد أن يتمثل في صورة ملموسة محسة، لأنه مهما أوتي العقل البشري من القدرة على التجريد، فإنه يظل في حاجة إلى تمثل هذا المعنى المجرد في صور وأشكال وخصائص ونماذج»[3]. ويتجلي المثل في القرآن الكريم بعامة في قوله تعالى: ﴿ ﴾[4]. فالله تبارك اسمه أورد المثل في الخطاب القرآني ليقرب لنفوس البشرية المعاني الظاهرة والضمنية عن طريق المحسوسات والمشاهد والصور والآيات المختلفة. ومن ذلك: المثل الذي سيق عن الكفرة، والذي وضعهم وحطهم مكانة دنيئة، إذ يتضح في قوله تعالى: ﴿ ﴾[5].

فسياق هذه الآي وُظِّف فيه المثل لتشخيص صورة الكافر الضال في صورة كلب،

---

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي–ص243

[2] L'argumentation Du Discours A La Pensée –Georges Vignaux –France -Edition Hatier-1999-p24

[3] النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن–صلاح الدين محمد عبد التواب–الكتاب الثاث–ص28.

[4] سورة الكهف–الآية 54.

[5] سورة الأعراف – الآيات175–177.

وهذا مثل تصويري سيق ليفي الخطاب القرآني بغرضه الديني ممثلا في حمل البشرية على الإيمان بآيات الله والعمل بها.

وقد وردت حجة التمثيل في قصة موسى –عليه السلام – عندما جاوز الله البحر ببني إسرائيل ووجدوا قوما يعبدون الأصنام، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها مثل إله أولئك القوم، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ . . . . . ﴾[1]؛ فبنو إسرائيل في طلبهم هذا اشترطوا أن يكون إلههم مثل إله القوم العاكفين على أصنامهم، فاستعملوا أسلوب التمثيل لإقناع موسى، وفي ذلك قال الزمخشري: « { . . . . . } صنما نعكف عليه{ . . . . . } أصناما يعكفون عليها»[2]، وكانت هذه الآلهة (الأصنام) تماثيل بقر من نحاس وهو أول شأن العجل، وقيل كانت من حجارة، فطالبوا موسى –عليه السلام–بمثلها ليعبدوها، والكاف في ﴿ . . . . . ﴾ متعلقة بمحذوف وضع صفة لإله وما موصولة، ولهم صلتها، والآلهة بدلا من الضمير المستتر، والتقدير اجعل لنا إلها كائنا كالذي استقر لهم[3]. فالتمثيل الذي استعملته بنو إسرائيل كان ينتمي إلى صنف المتفقات في الجنس، وهو شرط استعمال المثل. وفي الإمكان توضيح ذلك بما يأتي:

[1] سورة الأعراف –الآيات –138–140.

[2] الكشاف– الزمخشري –ج2–ص194.

[3] ينظر روح المعاني –الألوسي–ج9–ص40.

المثل الواقعي		المثل الذي يبني الواقع
آلهة القوم العاكفيـــن	⟺	إله بني إسرائيل
صنم من نحاس فـــي شكل بقرة	⟺	طلب صنم من نحاس على شاكلته
من جنس مـــــــادي	⟺	طلب إله مادي (ملموس)
قوم ضالـــــــــون	⟺	مستعدون للضلال

فبنو إسرائيل باستعمالهم هذا المثل حاولوا دعم الارتباط المتعلق بعبادة الأصنام، التي هي وقائع معيشة لا تستحق التأسيس بل التوضيح فقط، إذ«يختلف المثال Illustration عن الشاهد من جهة وضع القاعدة التي يَسعيان إلى دعمها، في حين كان الشاهد مستخدما لتأسيس القاعدة، فإن المثال يضطلع بدور تقوية أو دعم الارتباط لقاعدة معروفة ومقبولة، بتقديم حالات خاصة تضيء الفكرة Enoncé العامة وتُبَيِّن أهمية هذه عَبْرَ تنوع تطبيقاتها وتزيد حضورها في الوعي»[1]. فالمثل الوارد في سياق الآيات السالفة ورد بغرض شد انتباه مـــوسى –عليه السلام– وحمله على الإقناع باتخاذ الأصنام آلهة وتم ذلك اعتمادا على شيء محسوس ظاهري، لأن المثال لا يسعى إلى تعويض المجرد بالمحسوس أو العكس، بل يسعى إلى تأسيس واقع معين من خلال الربط بين الأشياء المتعالقة فيما بينها والتي تنتمي إلى النوع أو الجنس نفسه.

و في قصة موسى –عليه السلام– مثال آخر لهذا الضرب من الحجاج ، ورد على لسان فرعون عندما وصف آيات موسى من باب التمثيل بالسحر الذي يتعاطاه هو وقومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ... ﴾[2]، أراد فرعـــون من كلامه هذا أن يبنـــي واقعا عن طريق الربط بين السحر

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الولي–ص408.

[2] سورة طه–الآيات 56–58.

المتداول بكثرة في أيامه ومعجزات موسى –عليه السلام–وحاول إقناع رَعيَّتِه بذلك، باعتبار أن ما سيقوم به موسى سحرا، أو من جنس السحر. فقد ربط فرعون بين أطروحتين من الجنس نفسه في نظره هو وملئه وفي ذلك قال الألوسي: «{فلناتيك بسحر مثله}والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام واقعة في جواب القسم المحذوف، كأنه قيل إذا كان كذلك، فوالله لناتينك بسحر مثل سحرك»[1]، إلا أن تلك الآيات تبقى سحرا في نظر فرعون وجنوده لا في نظر موسى[2]، لأن فرعون يستمد سلطته من قُوّته، والمثل يُلحق به «الاستشهاد بنصوص ذات قيمة سلطوية على المخاطب كالمقولات الدينية، أو كلمات القواد الخالدين في نظر الجماعة المقصودة، لأن قيمة الشخص المعترف بها سلفا من قبل السامعين يمكن اعتبارها مقدمة حجاجية مهمة توظف في تحقيق العديد من النتائج»[3]. فهدف حجة المثل هو توضيح قاعدة معينة وتبيان حدودها بالاعتماد على حالة خاصة، وهي بهذا تدعم الحضور وتقويه.

هناك من يرى أن الشاهد وظيفته إثبات قاعدة معينة والمثال وظيفته توضيح قاعدة معينة، في حين هناك من يرى عكس ذلك، ومن هؤلاء صابر الحباشة الذي يرى أن الغاية من اعتماد حجة المثل حجاجيا هي التأسيس للقاعدة والبرهنة عليها[4]. وينهج محمد السالم محمد الأمين الطلبة النهج نفسه في حديثه عن تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة، إذ يقول إن المثـــل(l'exemple): « يؤتى به لتأكيد الفكرة المطروحة، أو لفض خلاف بارز أو متوقع البروز في إحدى الفرضيات الحجاجية»[5]. فهما بهذا التوجه يخالفان"بيرلمان Perelman " الذي فر ق بين الشاهد والمثال على أساس الوظائف الحجاجية التي تسند لكل واحد منهما[6].

---

[1] روح المعاني –الألوسي –ج16–ص216.

[2] ينظر تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي –ص 9301–9302.

[3] الحجاج في البلاغة المعاصرة –محمد سالم محمد الأمين الطلبة–ص131–132.

[4] ينظر التداولية والحجاج –صابر الحباشة–ص49

[5] الحجاج في البلاغة المعاصرة–محمد سالم محمد الأمين الطلبة–ص131.

[6] ينظر الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الولي–ص403

ورغم هذا التباين بين الشاهد والمثال إلا أن كل واحد منهما يهدف إلى تأسيس فكرة أو أطروحة تعد في جوهرها مُبَنْبِنَة لواقع يقوم عليها.

I-3.القدوة (النموذج) Modèle:

تمثل القدوة كل مَنْ يتميز عن غيره بسلوكات أو صفات تؤهله إلى أن يكون النموذج الأمثل الذي يُحتذى به، وتُعد القدوة جزءاً من التمثيل، إذ يعرّفها "أوليفيي روبول Olivier Reboul" بكونها «المثال الذي يظهر بمظهر يستوجب تقليده»[1]. ولعل أهم ما يُميز القدوة عن باقي حجج الحالات الخاصة عند استعمالها من طرف المحاجج هي حث المتلقي على الاقتداء بها. ولعل أبرز شاهد يجسد أسمى قدوة في تاريخ الإنسانة، ما جاء في خطابه تعالى: ﴿ ﴾[2]؛ فالله تبارك وتعالى يحثنا في هذه الآية على لإقتداء بالرسول –صلى الله عليه وسلم – فنأتمر بأوامـــره وننتهي بنواهيـــه، فـــ «ليس أي فعل أهلا لكي يُحتذى: نحتذي إلا بمن نُعجب بهم، أولئك الذين يمتلكون السلطة أو الشهرة الاجتماعية التي تعود إلى كفاءتهم أو إلى وظائفهم أو إلى المرتبة التي يحتلونها في المجتمع»[3]. فتأسيس الحضارة وقيام المجتمعات، يتوقف على وجود القدوة الحسنة التي تؤسس واقع هذه المجتمعات وتبنيه انطلاقا من سلوك القدوة وأفكارها المثالية. ومن ثم فإن للقدوة سلطة تُوظّف لقيادة الركب.

وقد سيقت حجة القدوة في قصة موسى في مواطن عدة، «فالقصة القرآنية تخضع في موضوعها وطريقة عرضها، وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض

---

[1] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية الدريدي–ص245. عن مدخل إلى الخطابة–أوليفيي روبول–ص186.

[2] سورة الحشر –الآية 7.

[3] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية–محمد الولي–ص410.

الدينية»[1]. ومن ذلك ما جاء على لسان فرعون عندما عاتب السحرة على إيمانهم لما جاء به موسى –عليه السلام–وذلك في قوله تعالى: ﴿ ..... ﴾[2]. لقد اتخذ السحرة موسى قدوة لهم رغم معاتبة فرعون لهم، فتوعده بالعقاب الشديد كان انطلاقا من الإيمان بما جاء به موسى–عليه السلام– الذي أثر في السحرة بحجة العصا التي أتت على كل ما صنعه السحرة في ساحة المساجلة، «ولهذا يعيش من يُعْتَبَرُ قدوة ضمن سياج سميك من الطقوس التي تحمي الصفات المُؤَمِّنة للقدوة ودوامها، إلا أن هذه الحماية والاستمرارية لا تتوقف على الشخص القدوة فحسب، بل إن الآخرين يمكنهم الإساءة إليها إذا عملوا على التشبه بها»[3]. فإذا كان فرعون بسلطته قدوة لملئه، فإن موسى أصبح بآيات ربه قدوة للسحرة ومن آمن به، وهؤلاء جميعا همّوا بالاقتداء به أمـــلا في طلب المغفرة والرضى من الغفور الرحيـــم، كما يتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿ ..... ﴾[4].

هناك قدوة أخرى تجلبها قصة موسى –عليه السلام– ممثلة في شخصية السامري الذي أضل بني إسرائيل وأوهمهم لعبادة العجل؛ فقد وردت في قوله جل بيانه: ﴿ .....

---

[1] بلاغة السرد القصص في القرآن الكريم قصة يوسف نموذجا –ابراهيم عبد المنعم ابراهيم –ص24.

[2] سورة الشعراء– الآيات 49–51

[3] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الولي–ص410.

[4] سورة الشعراء–الآيتان50–51

﴾[1]؛ فالسامري، بعد أن عَلِم بغياب موسى، سعى إلى إضلال بني إسرائيل؛ وفي ذلك يقول الزمخشري: «افترض السامري غيبته فعزم على إضلالهم غَبَّ* انطِلَاقه، وأخذ في تدبير ذلك، فكان بدء الفتنة موجودا ...واسمه موسى بن ظَفَر، وكان منافقا قد أظهر الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقر»[2]. فإذا كانت القدوة النموذج الذي يُحتذى، فالسامري كان كذلك لبني إسرائيل بعد رحيل موسى أربعين ليلة، إذ أقنعهم بعبادة العجل. ويرى البيضاوي في تفسير عبارة (أضلهم)؛ أي «أشدهم ضلالا، لأنه كان ضالا مضلا، وإن صح أنهم قاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة، وحسبوها بأيامها أربعين، وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل»[3].

ومن ثَمّ وجب أن نفرق بين نموذجين من القدوة هما: القدوة الحسنة والقدوة السيئة:

أ.القدوة الحسنة: ممثلة في شخصية موسى –عليه السلام– بصفاتها وأخلاقها وسلوكاتها المحمودة.

ب.القدوة السيئة: ممثلة في شخصية السامري بصفاتها وأخلاقها السيئة وسلوكاتها الهدامة.

يظهر في الأخير أن هناك تفاوت في درجات الاستدلال الحجاجية بين كل من:الشاهد (Exemple) والمثال(Illustration) والقدوة (Model)، وهو اختلاف ينبني على أساس الوظائف الحجاجية التي تسعى إلى بناء الواقع، وذلك من منطلق أنَّ«الشيء الذي نتوسل به يختلف –عند بيرلمان – تبعا للوظائف الحجاجية التي تُسند إليه، فحينما يسعى إلى "إثبات" قاعدة يدعى شاهدExemple وحينما يعمل على مجرد "توضيحها" يدعى مثالاIllustration وحينما يعمل هذا الشيء على حث المتلقي

---

[1] سورة طه –الآيات 83–86.

* غَبَّ:غَبّاً وغِبّاً: جاء زائرا بعد أيام.ومنه الأثر "زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً ،وعنه :أتاه يوما وتركه آخر.(المنجد في اللغة والأعلام–لبنان –المكتبة الشرقية–ط41–2005–ص543.)

[2] الكشاف–الزمخشري –ج3–ص160.

[3] أنوار التنزيل – البيضاوي–ج4–ص35.

"على الإقتداء به" يدعى قدوةModel»[1]. فقد أقر "بيرلمان Perelman" التمييز بين الشاهد والمثال والقدوة على أساس الوظائف الحجاجية انطلاقا من تجارب وأحداث سابقة معيشة واقعيا.

II-الحجج المُبَنْيِنَة للواقع التي تعتمد على التمثيل :

يسعى هذا النوع من الحجج إلى تأسيس واقع معين عن طريق التمثيل القائم على التشبيه. والاستدلال بواسطة التمثيل يعني: «تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقية عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر»[2]، فالاحتجاج بالتمثيل يهدف إلى بَنْيَنَة وقائع معينة قِوامها التشبيه.

لقد تطرق علماؤنا القدامى إلى هذه الظاهرة وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني، في فصل (في مواقع التمثيل وتأثيره)، إذ يقول: «واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا»[3]. ثم يسترسل في الحديث عن التمثيل حتى يصل إلى دوره في الحجاج فيقول: «وإن كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر»[4]. فقد وضح الجرجاني في كلامه هذا دور التمثيل في تحقيق الفاعلية الإقناعية، وأقرّ أن التمثيل كلما تخلّل الخطاب الحجاجي كان استدلاله أشد وأقوى وإقناعه أعم .

من خلال هذه الرؤى المتعددة للتمثيل، نجد أن تحقيقه يرتهن بوجود التشبيه والاستعارة والتناسب، وهي البنى التي يقوم عليها في السعي لبَنْيَنَة الواقع.

---

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الولي–ص403.

[2] الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه –سامية الدريدي–ص225.

[3] أسرار البلاغة –عبد القاهر الجرجاني–ص88.

[4] المصدر نفسه–ص88.

II-1.التشبيه :

يُعد التشبيه من أكثر الحجج استعمالا وتداولا، إذ يسعى إلى بناء الواقع عن طريق الربط بين القضايا المتباينات في الجنس. وهو ما أشار إليه الرمّاني بقولـــه: « التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل. ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس...فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بينا فهيما»[1]، فالروماني يرى أن بلاغة التشبيه تكمن في الرابط السببي الذي يحقق القرينة بين المشبه والمشبه به. وهو الأمر الذي ذهب إليه "ابن رشيق" نفسه، برأيه: «التشبيه: وصْفُ الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان أياه»[2]. فالتشبيه عند "ابن رشيق" يتحقق ما لم تكن فيه مطابقة كلية بين المشبه والمشبه به، بل تكون المطابقة في بعض الأجزاء أو الصفات. ويعتبر التشبيه أقرب إلى خيال الإنسان وأدنى إلى إدراكه وتصوره وهو من أكثر صور البيان تداولا وتوظيفا[3]، وقد ذكر "ابن حزم الأندلسي" التشبيه في قوله: «قال علي : التشبيه بين الأشياء المشتبهة حق مشاهد، فإذا شبه الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم شيئا بشيء فهو صدق وحق وتنبيه على قدرة عظيمة لأنه ليس في العالم شيئان إلا وهما مشتبهان. من وجه ما، وغير مشتبهين منى وجه آخر، وقد قال تعالى: ﴿ ..... ﴾[4]، فهذا الذي قلنا هو ارتفاع التفاوت لأن التماثل هو حد التفاوت، وإذا بطل

---

1. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن-الرماني،الخطابي،عبد القاهر الجرجاني -تحقيق :محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام-(رسالة النكت في إعجاز القرآن للرماني)مصر-دار المعارف-ط3-1976-ص80 و81.

[2] العمدة في محاسن الشعر وآدابه -ابن رشيق – تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد -لبنان-دار الجيل- ط5-1981-ص174.

[3] ينظر: النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن -صلاح الدين محمد عبد التواب-ص72.

[4] سورة الملك -الآية3.

التفاوت صح التماثل»[1]. الأمر الذي يؤكد رأي ابن رشيق القيرواني في مفهومه للتشبيه.

يعد الاستدلال بحجة التشبيه هو طريقة « إثبات الشيء بآخر، وهو ما يأخذ ظاهر الاستدلال، دون أن يحمل دائما المعاني الدقيقة للكلمة في المنطق الطبيعي أو الرياضي»[2]. وقد وُظِّفَ بشكل لافت في الخطاب القرآني لما له من أثر في تحريك المشاعر والنفوس، ودفعٍ لإمعان العقل والتّدبّر.

ومن هذه التوظيفات قوله تعالى: ﴿ . . . . . .

. . . . . .

. . . . . ﴾[3].ففي الآيتين تشبيهان :

الأول: وقد شُبِّهَتْ فيه أعمال الكافرين بسراب يثير لهفة في نفس العطشان الذي يأمل من خلالها تحقيق الارتواء والنجاة، وعندما ياتيه ليرتوي منه لا يجده، بل يجد الفراغ الذي يبقيه على ظمئه عقابا من الله، بغية إثارة الرُّعب والفزع في قلوب الكافرين، وهي غاية حجة التشبيه في هذه الآية، وهو من جنس ما يعرف بالتشبيه التمثيلي لأن وجه الشبه فيه منتزع من متعدد.

الثاني: وقد شُبِّهَت فيه أعمال الكافرين بالظلمات التي تحفُّها هالة من الغلس والغموض، وهي صورة مُفزِعة رهيبة، ذلك أن الظلام –ههنا–هو ظلام مركب حالك (ظلمات في بحر لجي –يغشاه موج – من فوقه موج–من فوقه سحاب– ظلمات بعضها فوق بعض.) وسنوضح هذه التركيبة الحجاجية بالمدرج الآتي :

---

[1] الإحكام في أصول الأحكام–ابن حزم الأندلسي –ج4.ص468.

[2] [2] L'argumentation Du Discours A La Pensée –Georges Vignaux -p25.

[3] سورة النور –الآيتان39–40.

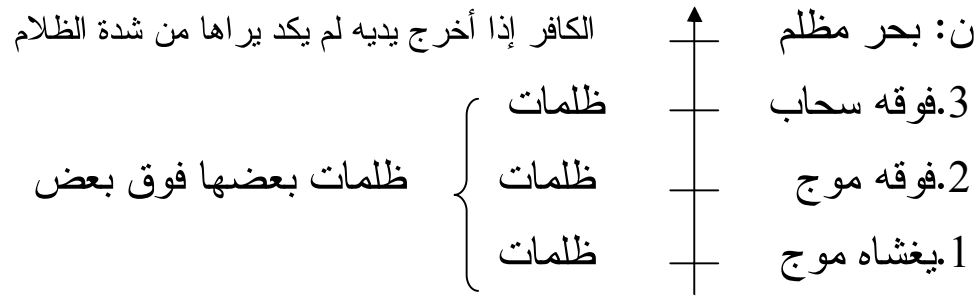

فكلا الحجتين التشبيهيتين تسعيان إلى تحقيق معنى واحد، وهو الحث على العمل الصالح لتحقيق النجاة في الدنيا والآخرة ورضا الله تعالى، «وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة»[1]، وكل منهما يأخذ بالقلوب والعقول لتحريك المشاعر والنفوس، فهما بهذا يؤسسان واقعا بواسطة التمثيل القائم على الربط بين قضيتين متباينتين في الجنس(1.عمل الكافر–2 سراب)و (1عمل الكافر–2 ظلمات) وهي غاية حجة التشبيه.

وقد وردت الحجة القائمة على التشبيه في قصة موسى –عليه السلام– في مقاطع متعددة منها حسب ما يقتضيه المقام للاستدلال بالتشبيه. ونظير ذلك ما نجده في خطابه تعالى، بعد أن أوحى الله إلى موسى –عليه السلام– أن يلقـــي عصاه، إذ قال له: ﴿ ..... ﴾[2]، فالتشبيه ورد في الآية الأولى بكامل أركانه: المشبه(العصا)، المشبه به (الجان)،وأداة التشبيه (كأنّ)، وقد شبه الله تعالى العصا بالجان لخفته وسرعة حركته وقدرته على التستر، «فمن أراد أن يشبه حركة أو هيئة بغيرها فعليه أن يتطلب أمرا يشترك الطرفان»[3]. وهو ما أكده الألوسي عند وقوفه على هذه الآية شرحا وتفسيرا بقوله «والفاء في قوله تعالى{ ..... } فصيحة مفصحة عن جمل حُذفت تعويلا على دلالة الحال عليها، وإشعاراً بغاية

[1] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن–النكت في إعجاز القرآن للرماني–ص82.

[2] سورة القصص–الآيتين31–32.

[3] علوم البلاغة –أحمد مصطفى المراغي–لبنان –دار الكتب العلمية–ط4– 2007–ص220.

سرعة تحقق مدلولاتها أي فألقاها، فصارت حية، فاهتزت، فلما رآها تهتــز وتتحــرك {.....} هي حية كحلاء العين لا تؤذي كثيرة في الدور، والتشبيه بها باعتبار سرعة حركتها وخفتها لا في هيئتها وجثتها»[1]. فوجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو الخفة والحركة في تحقيق الهدف، «ولا نشبه الشيء إلا بشيء أقوى وأشهر يتجلى فيه وجه الشبه بصورة قوية»[2]. والجان أشهر المخلوقات خفة وهو ما يتعلق بقدرة الجان على الحركة وسرعته في مقابل العصا. باعتبار أن ذلك من صفات الجان وخصائصه. فحجة التشبيه في هذا المقام سيقت لتبني واقعا يؤكد فاعلية العصا في اهتزازها وحركتها من منطلق العلم بمعرفة الجان باعتباره حقيقة مجردة يقينية، وحجة التشبيه تحققت بين عنصرين مختلفين في الجنس هما: العصا والجان، والرابط السببي هو الخفة وسرعة الحركة.

وقد اعتمدت حجة تشبيه ثانية لما أوحى الله تعالى لموسى –عليه السلام– أن يضرب البحر بعصاه، بغرض تهيئة الطريق ليسلكه هو ومن معه، وذلك في قوله عز اسمــه: ﴿..... .....﴾[3]؛ فالتشبيه في هذه الآية الكريمة ورد بأركانه الثلاثة وهي: المشبه(حافتي الطريق– قطعة الماء) والمشبه به (الجبل العظيم– الطود[4]) وأداة التشبيه(الكاف). فبعد أن ضرب موسى البحر انفلق،﴿..... .....﴾؛ قال صاحب " الصحاح": « الطود الجبل العظيم. والمراد بالفرق قطعة من الماء ارتفعت فكان ما تحتها كالسرداب على ما ذكره بعض الأجلة»[5]، فهذا الرأي يوضح الرابط السببي القائم على المشابهة بين الجبل من جهة وقطعة الماء من جهة أخرى، والذي يكمن

[1] روح المعاني–الألوسي –ج20–ص74.

[2] الميسر في البلاغة العربية–ابن عبد الله شعيب–الجزائر–دار الهدى–1992–ص33.

[3] سورة الشعراء–الاية63.

[4] الطود :الجبل العظيم :تفسير غريب القرآن –ابن قتيبة –مصر –دار إحياء الكتب العلمية–1958–الكتاب الثاني– ص317.

[5] روح المعاني –الألوسي –ج19–ص86.

في الاستقرار والثبات باعتبارها خاصية متعلقة بالجبال، فثبات الجبال حقيقة واقعية مدركة ولذلك شبه الله الفِرق(قطعة الماء) غير الثابت الأصل، بما هو أقوى وأشهر في الثبات. وهناك من رأى أن الفِرق هو الجزء المُنفرِق من الماء والطود هو الجبل المتطاول؛ أي المرتفع في السماء[1]. فالمعنى واحد وإن اختلف الرأيان.

وتظهر في قصة موسى-عليه السلام- على حجة أخرى تختلف عن الأولى والثانية من حيث استعمالها لأداة التشبيه (مثل)، فقد ورد على لسان بني إسرائيل، عندما تمنوا أن يمنّ الله عليهم كما منّ على قارون بالمال والمُلْك، قولهم الذي حكاه القرآن الكريم: ﴿ . . . . . ﴾[2]. ففي سياق الآيتين طلب للحياة الدنيا من قبل فئة من بني إسرائيل، فهم يطلبون أن يفتح الله عليهم بمثل ما فتح به على قارون، و«كان قارون غاية في فقهه وفهمه ، وكان في النسب إلى موسى ابن عمه، فلما فاضت الدنيا عليه، فاضت نفس علمه»[3]، إذ كان غنيا وأعلم بني إسرائيل بالتوراة، وكان إذا خرج على قومه يخرج في أبهى حُلّة، قال الزمخشري موضحا مفهوم الزينة في هذه الآية: «{ . . . . . }قال الحسن: في الحمرة والصفرة، وقيل: خرج على بغلة شهباء عليها أرجوان*، وعليها سرج من ذهب، ومعه أربعة آلاف على زيّه. وقيل: عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاثمائة غلام، وعن يساره ثلاثمائة جارية، بيض عليهن الحلي والديباج، وقيل: في تسعين ألفا عليهم المعصفرات، وهو أول يوم رُأي فيه المعصفر: كان المُتمنّون قوما مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر»[4]. وهو ما جعل بني إسرائيل يتمنون أن يكونوا على شاكلة قارون، لما

---

[1] ينظر التفسير الكبير ومفاتيح الغيب-محمد الرازي فخر الدين-ج11-ص479.

[2] سورة القصص -الآيتين79-80.

[3] المدهش -ابن الجوزي -تحقيق :حامد أحمد البسيوني-مصر -دار الحديث-2004-د.ط.-ص99.

*الأرجوان :ثياب حمر أرجوانية اللون ،وهو اللون الأحمر الشديد الحمرة.(الكشاف-الزمخشري-ج3-ص468)

[4] التفسير الكبير ومفاتيح الغيب -محمد الرازي فخر الدين -ج ص.

شاهدوه في ذلك المشهد، فالمشبه في الآيتين هو "حال بنو إسرائيل" والمشبه به "حال قارون" وأداة التشبيه "مثل"، والرابط السببي القائم على علاقة المشابهة بين العنصرين هو "المال والملك "، التي تسعى كل نفس بشرية إلى الظفر بهما. فجاءت حجة التشبيه لتربط بين حال بني إسرائيل وحال قرون، لِبَنْيَنَة واقع حديث انطلاقا من واقع معيش سلفا.

II-.2.الاستعارة:

تحوز الاستعارة على مكانة بالغة الأهمية في حقل الدراسات االتداولية لأنها تحمل في جوهرها طاقة حجاجية لتحقيق الفاعلية الإقناعية، ويرجع الفضل في إخراج الاستعارة من حقل البلاغة التقليدية التى اهتمت بها درسا وتمحيصا، إلى "بيرلمان Perelman" الذي أكسبها قوة حجاجية في مجال الدراسات المتعلقة بالحجاج، أو ما يسمى بالبلاغة الجديدة، إذ «طهَّر البلاغة الحجاجية من البلاغة المحسناتية...ولهذا فقد احتلت الاستعارة مكانا إلى جانب التشبيه أو المقارنة ضمن الجنس الثالث من أجناس المقومات الحجاجية. هذه واحدة من إضافات بيرلمان: إبطال مفعول بلاغة المحسنات وإدراج الاستعارة والتشبيه ضمن بلاغة الحجاج»[1]. فالباحث يعتبر المقارنة والتشبيه والاستعارة حُجَجا تسهم في بلاغة الحِجاج، وتشخص أكثر الالتباس القائم بين التشبيه والاستعارة.

اهتم علماء البيان القدامى بالاستعارة كمقوِّم من مقومات علم البيان، ومن الذين اهتموا بذلك درسا وتنظيرا الإمام عبد القاهر الجرجاني، الذي حدها بقوله: «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية»[2]. فالجرجاني أشار إلى انبناء الاستعارة على مفهوم النقل المجازي باعتبار وجود القرينة المشتركة بين

---

[1] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية-محمد الولي-ص457.

[2] أسرار البلاغة -عبد القاهر الجرجاني -ص27.

المستعار منه والمستعار له سواء كانت لفظية أو معنوية، لكنه نقل يعتمد على الشبه، مما يجعله يختلف عن سائر أنواع المجاز.

فاستعمال الاستعارة كحُجّة يحمل المتلقي على الإذعان ويجعله يمعن عقله في تأويلها، وإدراك حقيقتها.

تتأسس الاستعارة بدورها على أركان ثلاث وهي: «مستعار وهو اللفظ، ومستعار منه وهو المشبه به، ومستعار له وهو المشبه»[1]، والعلاقة بين المستعارمنه والمستعار له تقوم على وجود رابط سببي- قرينة لفظية أو معنوية - بينهما لكي يتحقق النقل الاستعاري بينهما في الخطاب الحجاجي.

إذا كان دور الاستعارة في الخطاب الحجاجي يقتصر على إثارة النفوس والخيال وتحريك المشاعر بغرض إقناع المتلقي، فإنها تجلَّت في الخطاب القرآني بصورة واضحة، وفي مواطن متعددة، لتؤدي أغراضها الدينية التي تسعى إلى بناء الواقع ونظير ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ..... ﴾[2]. فقد قال الزمخشري في إجراء هذه الاستعارة: «والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة، وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه﴿ ..... ﴾أسس على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء، وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل ﴿ ..... ﴾ في قلة الثبات والاستمساك. وُضِع شفا الجرف في مقابلة التقوى؛ لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى»[3]. وهي صورة جد رائعة، حيث تكشف عن حال من يقيم بنيانه على غير تقوى من الله، « فتخيِّل للحس -حينئذ- حركة انهيار سريع ومفاجئ لا يكاد يدع

[1] علوم البلاغة -أحمد مصطفى المراغي-ص259.

[2] سورة التوبة -الآيتين-109-110.

[3] الكشاف -الزمخشري-ج2-ص332.-333.

فرصة واحدة للنجاة، فهذا الذي أسس بنيانه على حافة الهاوية لم يلبث أن هوى مع أساسه{ .....}هكذا بلا تراخ، وكأنّ الحياة الدنيا على طولها لا تستدعي التعبير بحرف التراخي (ثم)، وإنما هو التعقيب المباشر السريع "فانهار "لأن هذا المدى وإن طال جد قصير»[1]. فاستعير لفظ" البنيان" الذي يخص ما هو مادي للعمل باعتباره معنوي.

صورت لنا هذه الاستعارة عمل المؤمن وعمل الكافر في شكل بنيان، وأصل البنيان متعلق بالجدران والسفن والأعمدة وغيرها، وهو ما أكده الرُّمَّاني بقوله: «وأصل البنيان إنما هو للحيطان وما أشبهها، وحقيقته اعتقادهم الذي عملوا عليه، والاستعارة أبلغ لما فيها من البنيان بما يحسن ويتصور، وجعل البنيان ريبة وإنما هو ذو ريبة، والاستعارة أبلغ كما نقول: هو خبث كله، فجاء على البلاغة لا على الحذف الذي إنما يراد به الإيجاز في العبارة فقط»[2]. تهدف هذه الاستعارة إلى تأسيس واقع يكمن في الحث على التقوى والعمل الصالح، من منطلق أن كل من كان تقيا وعمل صالحا، سينال مرضاة الله تعالى، ومن كان ظالما وعمل السيئات فجزاؤه جهنم وهي مثوى له.

لقد تواردت الاستعارات بشكل جلي في قصة موسى –عليه السلام–، لتفي القصة بغرضها الديني. ونظير ذلك ما تعلق بعصا موسى، لما أوحى الله إليه بإلقائها لتبيان آياته، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ....

....

.....﴾[3]. فإذا وقفنا على قوله تعالى ﴿ ..... * .....﴾ في سياق هذه

[1] النقد الأدبي –دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن–محمد صالح عبد التواب–ص88.

[2] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن–الرماني،الخطابي،عبد القاهر الجرجاني –تحقيق :محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام–(رسالة النكت في إعجاز القرآن للرماني)مصر–دار المعارف–ط3–1976–ص91 و92 .

[3] سورة طه –الآيات17–23.

الآيات، وجدنا أن لفظ (الحية) وُضع في مقابلة لفظ (العصا)، والقرينة تتجلى في السعي، وهو«المشي بسرعة وخفة حركة»[1]، وقد أشار إلى ذلك "الزركشي" في فصل الأسباب الموهمة للاختلاف بقوله: «ومنه قوله تعالى: ﴿...........*...﴾، وفي موضع ﴿...........﴾، والجان: الصغير من الحيات، والثعبان: الكبير منها، وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته»[2]. وهو ما يمثل الرابط السببي بين سرعة وحركة الحية المعهودة والمدركة سلفا، وبين حركة العصا وخفتها التي أراد الله من خلالها أن يبني واقعا، يسعى إلى الحث على الإيمان به.

يُعد هذا النموذج من الاستعارة التصريحية لأنه تم التصريح فيها بلفظ المشبه به (الحية)، ووردت لتؤسس واقعا يؤكد برهان الله لموســـى –عليه السلام – إثباتا لعظمته ووحدانيته، وجواب ذلك في قوله: ﴿...............﴾. أي «خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية ولنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى، أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا، أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك»[3]. وهذه الآية هي انقلاب العصا حية، إذ جاءت على شكل استعارة حجاجية في الخطاب القرآني قامت بالربط بين عنصرين متباينين في الجنس لتبني واقعا تؤكد من خلاله قدرة الله تعالى في تسيير شؤون عباده، وتثبيت رسله وأنبيائه.

*بمعنى أن العصا أصبحت تتحرك وتتنقل بسرعة فائقة، والحية اسم جنس يطلق على كل أنواع الحيات الصغير منها والكبير والذكر والأنثى (روح المعاني –الألوسي – ج16–ص177.)

[1] الكشاف –الزمخشري –ج3–ص140.

*بمعنى أن العصا أصبحت تتحرك وتتنقل بسرعة فائقة، والحية اسم جنس يطلق على كل أنواع الحيات الصغير منها والكبير والذكر والأنثى (روح المعاني –الألوسي – ج16–ص177.)

[2] البرهان في علوم القرآن –الزركشي–ص362.

[3] المرجع نفسه–ص142.

كما وردت حجة أخرى في قصة موسى–عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿ ... ﴾[1].

في سياق هذه الآية استعير لفظ السكوت للدلالة على الانتفاء، «وحقيقته انتفاء الغضب، والاستعارة أبلغ لأنه انتفى انتفاء مراصد بالعودة، فهو كالسكوت على مراصدة الكلام بما توجبه الحكمة في الحال، فانتفى الغضب بالسكوت عما يكره، والمعنى الجامع بينهما الإمساك عما يكره»[2]، فالرابط السببي بين السكوت والانتفاء يكمن في الإمساك عما هو مكروه.

ومن الاستعارات الحجاجية الأخرى التي وردت في قصة موسى– عليه السلام– تلك التي عبر بها البيان القرآني عن الأمر الصادر لموسى–عليه السلام– لتجنيد بني إسرائيل وأن يجعل عليهم نقباء*، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿ ... ﴾[3].

فالله تبارك وتعالى وعد بني إسرائيل، إذ هُم قاموا بما أوجب الله عليهم، ولا يتراجعون عن القتال كما تراجعوا من ذي قبل، أن يجعل ثواب هذه الأعمال مكفِّرا لما ترتب عليهم من عقاب لما تراجعوا أول مرة عن القتال.

تتمثل الاستعارة في لفظ القرض في قوله جل بيانه: ﴿ ... ﴾أي «بالإنفاق في سبيل الخير، وقيل بالتصدق بالصدقات المندوبة، وأيا ما كان فهو استعارة، لأنه سبحانه لمّا وعد بجزائه والثواب عليه شبهه بالقرض الذي يقضى

---

[1] سورة الأعراف –الآية 154.

[2] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن–النكت في إعجاز القرآن للرماني– ص87 و88.

* النقيب هو الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها(الكشاف –الزمخشري –ج2–ص14).

[3] سورة المائدة –الآية 12.

بمثله، وفي كلام العرب قديما الصالحات قروض{ . . . . . }وهو ما كان من طيب نفس على مقال الأخفش، وقيل : ما لا تبعه مَنٌّ ولا أذى، وقيل: ما كان من حلال، وذكر غير واحدا أن قرضا يحتمل المصدر والمفعول به»[1]. فالقرض هنا متعلق بالصدقة.

وصفوة القول أن القرض متعلق بالمال أو ما يقترض من الأشياء المادية، لكن الله تعالى استعارها لأنه توعد بجزائه لمن لم يخالف وعده، فالرابط السببي- القرينة- بينهما هي الوعد والأجل. وبالتالي فقد سيقت هذه الاستعارة الحجاجية لتبني واقعا يقتضي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالرسل والإقدام على القتال والحفاظ على العهد والتصدق، انطلاقا من تجارب ووقائع سابقة تمثلت في نقض عهد القتال، ثم جاءت استعارة القرض لتربط بين متشابهين منتميين إلى جنسين مختلفين متباينين، الأول مادي والثاني معنوي وهما: القرص والوعد بالثواب

ومن ثم نستنتج أن الخطاب الاستعاري أعلى حجاجيا من الخطاب العادي. وسنقف على ذلك بشيء من التمثيل وفق الجدول الآتي:

المستعار منه	المستعار	المستعار له	الرابط السببي
القرض المادي من مال وأشياء مادية مختلفة .	القرض	الصدقة	الوعد والأجل

شبه الله تعالى الصدقة بالقرض، ثم حذف المشبه من باب الاستعارة التصريحية والرابط السببي الجامع بينهما(القرينة) أن كلاهما مأجور.

II-3. التناسب Analogie :

يتداخل مفهوم التناسب مع الاستعارة باعتبار هذه الأخيرة جزءا منه، ويتحقق بين الموضوع (المستعار منه)، والشبيه (المستعار له).

[1] روح المعاني - الألوسي -ج6-ص88.

يحيلنا التناسب الحجاجي، الذي« يجمع في الكلام بين أمرين أو أمور متناسبة»[1]، على تلك العلاقة التي يمكن إدراكها بين شيئين مختلفين، وكل واحد منهما يتأسس على ركنين تربطهما علاقة معينة، ذلك إن التناسب «يتألف في بنيته العميقة من أربعة أطراف؛ فأنت حينما تقول " أسد علي " فإنك تعوّض الشخص الشجاع بالأسد، في حين أنك عندما تقول مع بير كليس" إن الشباب اختفى من الدولة كما لو كانت السماء قد فقدت ربيعها" فأنت لا تتحدث عن شيئين ولكن عن أربعة أشياء هي: الشباب والدولة والربيع ودورة الفصول الأربعة؛ أي السنة، فكما أن الربيع في علاقته بكل الفصول هو الأروع فكذلك الشباب في علاقته بالدولة»[2]. فعلاقة التشابه التي تجسد التماسك تتمثل في علاقة الدولة بشبابها وعلاقة الدورة السنوية بالربيع، وهي التي سعى "بير كليس" إلى توضيحها. ومثال ذلك يتجسد في علاقة المتنبي بقومه إذ يقول[3]:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن مَعْدِنُ الذّهب الرَّغَامُ

فأبو الطيب في حديثه عن علاقته مع قومه يقول: «فلا أحسب نفسي واحدا منهم رغم وجودي بينهم كالذهب الذي يوجد في التراب وهــو ليس منـــه»[4]. فالمتنبي بنى بيته على علاقتين اثنتين تقومان على التشابه وهما:

الأولى: بينه وبين قومه في صدر البيت من جهة، والتي يبين فيها أنه مهما عاش مع هؤلاء الناس فلا يُعدُّ منهم.

الثانية: بين الذهب والرَّغام في عجز البيت من جهة أخرى، والتي يبين فيها أن الذهب ليس من التراب ولو كان فيه.

فالنسبة القائمة بين شطري البيت هي علاقة تناسب بين شيئين في موضوع معين (الانتماء) لتشابههما.

---

[1] علوم البلاغة–أحمد مصطفى المراغي–ص323.

[2] الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية –محمد الولي–ص423.

[3] ديوان المتنبي –لبنان –دار الجيل –ص101.

[4] شرح يوان أبي الطيب المتنبي–مصطفى السبيتي –لبنان–دار الكتب العلمية–ج1–ص144.

فعلاقة التناسب القائمة بين العناصر الأربعة (المتنبي وقومه- الذهب والرغام) هي أقدر على الإقناع لأنها تقدم الحقيقة أو الواقع في شكل صورة.

لقد وظف الخطاب القرآني مثل هذه الصور القائمة على التناسب في مواطن كثيرة، ومما أورده منها في قصة موسى -عليه السلام- قوله عز اسمه: ﴿ ﴾[1]. ففي سياق هاذين الآيتين نجد استعارتين ممثلتين في اللفظتين (سلطان وساحر)، وهما يشكلان بدورهما تناسبا بين علاقتين في تسمية السلطان المبين سحـــرا وكذبا، وهو ما أكـــده الزمخشري في قـــوله: «{ } وحجة ظاهرة، وهي المعجزات، فقالوا : هو ساحر كذاب، فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا»[2]. فالسلطان متعلق بالآيات البينات، وهي الحجج الظاهرة، والسحر متعلق بالسلطان. وحكى الطَّبرسي أن«المراد بالآيات حجج التوحيد وبالسلطان المعجزات الدالة على نبوته عليه السلام، وقيل الآيات المعجزات والسلطان ما أوتيه عليه السلام من القوة القدسية، وظهورها باعتبار ظهور آثارها من الإقدام على الدعوة من غير اكتراث»[3]، فعلاقة موسى بالآيات البيّنات تشبه علاقة فرعون وقارون وهامان بالسحر، لأن الأول رسول مؤيد بمعجزات ربه، والثاني متكبر كافر يعتمد على السحر وظيفة وبرهانا. وفي كل الحالات جاءت المشابهة القائمة على التناسب بين علاقتين، فهي علاقة تناسب بين شيئين في موضوع معين.

وغير بعيد عن ذلك تظهر حجة تناسبية أخرى، تلك المتعلقة ببني إسرائيل عندما نُكصوا على أعقابهم وتقاعصوا عن مقاتلة أعدائهم، والتي حكاها الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿ ﴾

[1] سورة غافر-الآيتان23-24.

[2] الكشاف-الزمخشري-ج4-ص8.

[3] روح المعاني - الألوسي -ج24-ص61.

﴿ ..... ﴾[1]. تُظْهِرُ الآيتان عناد بني إسرائيل، ورفضهم طاعة موسى- عليه السلام- والتصريح بمخالفتهم لأوامره، ودليل ذلك ما جاء على لسانهم في قوله تعالى: « { ..... }؛ أي إذا كان الأمر كذلك فاذهب { ..... }؛ أي فقاتلاهم وأخرجاهم حتى ندخل الأرض. وقالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله -عليه السلام- وعدم مبالاة، وقصدوا ذِهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم»[2]. ولذلك دعا موسى -عليه السلام- ربه أن يفصل بينه وبين القوم العُصاة، ﴿ ..... ﴾، قاصدا نفسه وأخاه هارون -عليهما السلام-، والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله، والفاسقون هم الخارجون عن طاعة الله، وقد جاء طلبه هذا ليحكم الله له ولأخيه بما يستحقه من ثواب، وعلى الفاسقين مما يستحقونه من عقاب[3].

فالعلاقة بين موسى وأخيه من جهة، وبين القوم الفاسقين العُصاة الرافضين لأوامر الله من جهة أخرى، هي علاقة تناسب في موضوع واحد؛ بمعنى أن كل منهما سيثاب حسب عمله، والتناسب هنا قوامه الجزاء من عند الله تعالى.

---

[1] سورة المائدة-الآيتان24-25.

[2] روح المعاني -الألوسي-ج6-ص108.

[3] ينظر روح المعاني -الألوسي -ج6-ص109.

خاتـــمـــة:

من خلال دراستنا للبنية الحجاجية في قصة موسى –عليه السلام – توصلنا إلى روافد الحجاج بتقنياته المختلفة تبدو المؤسسة لبنية هذه القصة، وهي العامل الأساس الذي جعل هذه القصة تحقق فاعليتها الإقناعية، باعتبار أن الحجج المشكلة لمختلف الطرائق الاتصالية فيها، تحمل في ذاتها طاقة حجاجية إِنْ ظاهرة أو ضمنية، تجعلها أكثر قوة لحمل المتلقي على التسليم بما يعرض عليه من أفكار وأطروحات، وإقناعه بها.

وفي خضم هذه المحاولات العلمية آن لي أن أخلُص إلى جملة من النتائج، تعد بمثابة استنتاجات توصلت إليها من خلال هذا البحث، وهي:

1- توصلت إلى أن الحجاج فعل لغوي غائي، يتحقق بين ذوات فعالة ونشيطة، يسعى المرسل من خلاله حمل المتلقي على الإذعان، والسعي إلى إقناعه بشتى الآليات المختلفة حسب المقام.

2- استنتاج أن الاستدلال البرهاني والحجاجي متعلقان بالخطاب. إلا أن البرهنة تخص المنطق الرياضي الصوري، أما الحجاج فيرتبط باللغة الطبيعية، التي تعتمد على المنطق الطبيعي الذي هو جزء من البنية العقلية عند الإنسان.

3- يختلف الحجاج باختلاف الطبقات المقامية التي يتنزل فيها، ويفرض على المحاجج اختيار التقنيات الحجاجية بتراكيبها ومعانيها المختلفة والمتعددة التي تتماشى والسياقات التي تُنْتَج فيها الخطابات، وتنسجم تمام الانسجام مع غاية الخطاب الحجاجي.

4- محاولة "بيرلمان Perelman " الرائدة التي سعت إلى إخراج المفاهيم التداولية الحجاجية من صلب البلاغة التقليدية الغربية، وإكسابها طاقة حجاجية، يسعى المحاجج إلى توظيفها في خطاباته المتنوعة لتحقيق عملية الإقناع، كالشاهد والمثال والقدوة والتناسب وغيرها. وهو ما أدى به إلى تسمية هذا النزوع بالبلاغة الجديدة.

5-اهتمام "بيرلمان Perelman " بالحجج المُؤسِّسة للتقنيات الحجاجية. وقسمها إلى ثلاثة أنواع رئيسة :

أ- الحجج الشبه منطقية : التي تكون نتائجها نسبية وغير ملزمة، وتفتقر إلى الصرامة، إلا أنها تحتفظ بقدرتها على الإقناع.

ب- الحجج المُؤسّسة على بنية الواقع: التي تستند في أساسها إلى الواقع وتقوم على الوقائع والأحداث المتعالقة بين الأشياء المكونة لهذا الواقع.

ج- الحجج المؤسسة لبنية الواقع (المُبَنْيِنَة للواقع): التي لا تقوم على الواقع بل تعيد بناءه بواسطة الحالات الخاصة التي تسعى إلى تأكيد أو توضيح قضية معينة. أو بواسطة التمثيل الذي يسعى إلى الربط بين المتفقات أو المتباينات في الجنس أو النوع.

6- تتشكل البنية الحجاجية لقصة موسى -عليه السلام- من حجج متعددة ومتنوعة، وأحيانا تكون في سياق واحد. وتتسم بالانفتاح، وتهدف إلى إقناع أكبر عدد ممكن من المتلقين. والأكثر من ذلك أنها تسعى إلى إقناع المتلقي الكوني عبر الحقب الزمانية المختلفة، خاصة عندما تخاطب الحس والعقل، كما في قوله تعالى:﴿ .....

.....

.....﴾.سورة البقرة.الآيتان 72-73.

7- إن الحجاج في قصة موسى -عليه السلام – يكون أحيانا ضمنيا وخفيا، ذلك أن الحجج المشكلة لبنية القصة تكون ظاهرية، وفي أغلب الأحيان تكون ضمنية على شكل طاقة حجاجية تكمن داخل بنية الخطاب الإلهي. وتسعى إلى إقحام عالم المتلقي وإرغامه على إمعان عقله، في فهم ما خفي من أسرار في هذا الخطاب. وهو ما يجعل الحجاج في القرآن الكريم يتجاوز منطق التفسير بتعدد الاحتمالات والقراءات إلى ما يسمى بالتأويل؛ فما يكون خفيا على مستوى الخطاب يكون أبلغ وأهم مما يكون صريحا يمنح للمتلقي جاهزا دون عناء كبير، فأجزاء القصة تتماسك وتتسق وتنسجم فيما بينها بطريقة خفية، لا نكاد نلمسها إلا بالقراءة المعمقة المتأنية التي

يسعى المتلقي من خلالها فك الرسائل المشفرة، والدلالات العميقة الكامنة في بنية القصة.

8- أما على مستوى العلاقات الحجاجية بين الوقائع والأحداث في قصة موسى –عليه السلام– فنجد الربط يتجلى بين الحُجج والنتائج مباشرة في أغلب الأحيان دون استعمال الروابط الحجاجية، ويكون ذلك الربط ظاهريا أحيانا وضمنيا أحيانا أخرى، الأمر الذي يؤدي بالمتلقي بمشاعره وفكره إلى التغلغل (الغوص) في البنية العميقة لفهم مقاصد المرسل لا الاكتفاء بظاهر الخطاب القرآني، وهو صفة من صفة إعجاز القرآن وبلاغته.

9- يمتاز الخطاب الحجاجي المُؤسس لبنية قصة موسى –عليه السلام– بالتماسك والانسجام والتوافق، وذلك على مستوى اللفظ والتركيب والصورة و الإيقاع، وهو ما يحيلنا على الجانب الجمالي الذي يسعى إلى الإثارة لتحقيق الإقناع. فالمتلقي يلاحظ بل يدرك سمو الخطاب القرآني الحجاجي نظما ومعنى مصداقا لقوله تعالى :﴿ .....

.....﴾سورة

الإسراء .الآية 88. وهو ما يجعله يحافظ على طاقته الإيحائية خاصة عند العدول عن مقتضى الظاهر والخروج عن المألوف. وتظهر الصورة موحية بالدلالات المعبرة عن حال القوم وأوضاعهم، ومن ثم نرى أن الاتساق والانسجام في الخطاب الحجاجي القرآني عاملان أساسيان في تحقيق الفاعلية الإقناعية، ولا معنى للحجاج إذا لم يكن مؤثرا مقنعا.

كما أن هناك بعض القضايا التي بقيت عالقة وتحتاج إلى بحث مستفيض خاصة التي يكتنفها بعض الغموض في رصد حدودها. كالأسس التي يجب تحديدها بالتفريق بين المثال والشاهد باعتبار تداخلهما، وكذا بين مفهومي الاستعارة والتناسب باعتبار الأولى جزء من الثاني. وصفوة القول أن بنية الخطاب القرآني الحجاجي على وجه العموم والبنية الحجاجية في قصة موسى –عليه السلام– على وجه الخصوص كلها حجاج، أراد الله تبارك وتعالى من خلالها إرشاد النفوس، وهدي القلوب، وحملها على

حقائق الإيمان والتوحيد والعمل بالشرائع السماوية السمحاء، وإقناع المتلقي بها، ودفعه إلى الانفتاح على تأويل الخطاب القرآني بما يحقق له مقصديته، باعتبار أن المتلقي متلق كوني يتجدد فكره بتجدد الزمان والمكان والعُرف.

وبما أن الكمال صفة متعلقة بذات الله تعالى وحده لا غير سواه، بِوَدّي أن أعتذر وكأي باحث عن أي نقص صدر مني سهوا أو تقصيرا أو خطأ، خاصة في حق التعامل مع الخطاب القرآني، الذي يفرض على مُتناوِله أقصى مبادئ التأدب والاستسلام. وأسأل الله تعالى أن يوفقني وقارئ هذا البحث ويسدد خطانا ويجعلنا في خدمة الصالح العام.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

1.التفاسير

1. أنوار التنزيل وأسرار التأويل–البيضاوي– لبنان – دار إحياء التراث العربي–1998.
2. البحر المحيط –أبو حيان الأندلسي –بيروت–دار الفكر–2005.
3. التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور–تونس– الدار التونسية للنشر–1984.
4. تفسير الشعراوي – محمد متولي الشعراوي –مصر – دار أخبار اليوم –1997.
5. تفسير القرآن العظيم–ابن كثير. سوريا–دار القلم العربي–2004.
6. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – محمد الرازي فخر الدين(أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي)– لبنان–دار الفكر–ط1–1981.
7. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني –الألوسي–لبنان–دار إحياء التراث العربي –1353هـ– ط2.
8. الكشاف– الزمخشري –شرح وضبط يوسف الحمادي–مصر–مكتبة مصر.
9. معالم التنزيل –البغوي(أبو محمد الحسين بن مسعود)–تحقيق: محمد عبد الله النمر وزملاؤه– المملكة العربية السعودية–دار طيبة–1409هـ.

2.المصادر والمراجع:

10. الإتقان في علوم القرآن –السيوطي(جلال الدين)–لبنان–دار الفكر–ط1–2003.
11. الإحكام في أصول الأحكام– ابن حزم–تحقيق: محمود حامد عثمان –القاهرة –دار الحديث– 2005.
12. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية– مصطفى صادق الرافعي–لبنان –دار الكتب العلمية–ط1– 2000.
13. استراتيجيات الخطاب–عبد الهادي بن ظافر الشهري–دار الكتاب الجديدة المتحدة –ليبيا– ط1–2004.
14. أسرار البلاغة –عبد القاهر الجرجاني– لبنان–المكتبة العصرية –ط3–2001.

15. الإقناع الاجتماعي –خلفيته النظرية وآلياته العملية –عامر مصباح–الجزائر –ديوان المطبوعات الجامعية –ط2– 2006.
16. البرهان في علوم القرآن –الزركشي(بدر الدين محمد بن عبدالله)–تحقيق: أبو الفضل الدمياطي–القاهرة –دار الحديث–2006.
17. البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية–فرانسوا مورو –ترجمة: محمد الولي وعائشة جرير–المغرب–دار الخطابي للطباعة والنشر –ط1–1989.
18. بلاغة الحجاج في الشعر العربي شعر ابن الرومي نموذجا – إبراهيم عبد المؤمن –مصر – مكتبة الآداب–ط1–2007.
19. بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم قصة يوسف نموذجا –ابراهيم عبد المنعم ابراهيم – مصر –مكتبة الآداب–ط1–2008.
20. البيان والتبيين –الجاحظ–تحقيق عبد السلام هارون –مصر–مكتبة الخانجي–ط3–1968.
21. البيان والتبيين –الجاحظ–تحقيق درويش جويدي–لبنان–المكتبة العصرية –2001.
22. التعريفات –الشريف الجرجاني– تحقيق إبراهيم الأبياري–لبنان–دار الكتاب العربي–ط1–2002.
23. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن–الرماني،الخطابي،عبد القاهر الجرجاني –تحقيق :محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام–(رسالة النكت في إعجاز القرآن للرماني)مصر–دار المعارف–ط3–1976.
24. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه–سامية الدريدي–تونس–عالم الكتاب الحديث –ط1–2008 .
25. الحجاج في البلاغة المعاصرة –محمد سالم محمد الأمين الطلبة– ليبيا–دار الكتاب الجديدة المتحدة–ط1–2008.
26. الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية – عبد الله صولة–لبنان–دار الفرابي–ط2–2007.
27. حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة – محمد ولد الأمين– ليبيا– المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر– ط1 – 2004.
28. دلائل الإعجاز –عبد القاهر الجرجاني –لبنان – دار المعرفة –ط3 –2001

29. ديوان جرير –جرير –لبنان –دار صادر –د.ط–د.ت.
30. ديوان المتنبي –لبنان–دار الجيل.
31. البنية السردية في القصص القرآني –محمد طول– الجزائر– ديوان المطبوعات الجامعية.د.ط–د.ت.
32. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي–مصطفى السبيتي –لبنان–دار الكتب العلمية.
33. علوم البلاغة –أحمد مصطفى المراغي–لبنان –دار الكتب العلمية–ط4– 2007.
34. العمدة في محاسن الشعر وآدابه –ابن رشيق القيرواني (أبو الحسن) – تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد –لبنان–دار الجيل– ط5–1981.
35. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج–عبد السلام عشير – المغرب– إفريقيا الشرق–2006.
36. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام – طه عبد الرحمن– المعرب–المركز الثقافي العربي– ط3–2007.
37. قصص الأنبياء –ابن كثير(عماد الدين أبي الفدا اسماعيل بن عمر)–لبنان–دار بن حزم– ط1–2002.
38. الكامل –المبرد –لبنان –دار الفكر .
39. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال–علاء الدين علي ابن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري–تحقيق بكري حياني وصفوة السقا–مؤسسة الرسالة –ط5–1981.
40. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي– طه عبد الرحمان–المغرب–المركز الثقافي العربي– ط1– 1998.
41. مدخل إلى فقه اللغة العربية–أحمد محمد قدور–لبنان–دار الفكر–ط3–2003.
42. المدهش –ابن الجوزي –تحقيق :حامد أحمد البسيوني–مصر –دار الحديث–2004–د.ط.
43. مفتاح الوصول إلى علم الأصول– محمد الطيب الفاسي –في شرح خلاصة الأصول –عبد القادر الفاسي –تحقيق إدريس الفاسي الفهري–الإمارات العربية المتحدة–دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث–ط1–2004.
44. المقاربة التداولية – فراسواز أرمينكو– ت.سعيد علوش –المغرب –مركز الإنماء القومي.

45.موطأ الإمام مالك –مالك بن أنس– تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي–مصر–دار إحياء التراث العربي –د.ت.
46. النص والسياق– فون داك–ترجمة عبد القادر قنيني – المغرب –إفريقيا الشرق –2000.
47.النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية– محمد طروس– المغرب –دار الثقافة –ط1 –2005 .
48.النقد الأدبي –دراسات نقدية حول إعجاز القرآن– صلاح الدين محمد عبد التواب –مصر – دار الكتاب الحديث –ط1–2003– الكتاب الثالث.

3.المجلات والدوريات

49. مجلة الخطاب–مخبر تحليل الخطاب –جامعة تيزي وزو–الجزائر–دار الأمل–العدد2– 2007.
50. مجلة اللغة والأدب –جامعة الجزائر–الجزائر–العدد14–1999.
51. مجلة المجمع الجزائري للغة العربية –الجزائر–المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية–2008.
52. مجلة مناهل – وزارة الثقافة والاتصال المغربية– المغرب–السنة25 العدد 62–63 ضفر1422 ه –ماي2001.
53. مجلة عالم الفكر – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت–المجلد 28–العدد3 –يناير –مارس–2000.

4.قواميس :

54. المحكم والمحيط الأعظم– ابن سيده (أبو الحسن على بن اسماعيل)–تحقيق: عبد الحميد هنداوي–لبنان –دار الكتب العلمية. 2000.
55. المنجد في اللغة والأعلام–لبنان –المكتبة الشرقية–ط41–2005.
56. معجم اللسانيات الحديثة – إنجليزي–عربي–سامي عياد حنا–لبنان–مكتبة لبنان ناشرون– 1997.
57. لسان العرب –ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)–لبنان –دار صادر – ط1.

5.رسائل وأطروحات:

58. الإنسان في القرآن الكريم مقاربة فكرية تحليلة لمبدأ الخلق الإنساني- رسالة دكتوراه- إعدا :محمد زعراط – إشراف : سليمان عشراتي-1997-1998.

59. الإعجاز الفني في القصة القرآنية -سورة يوسف نموذجا – رسالة دكتوراه- إعداد: محمد الأمين خلادي -إشراف سليمان عشراتي- جامعة وهران-1999-2000.

60. الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة-رسالة دكتوراه-إعداد أحمد عرابي -إشراف أحمد عزوز- 2003-2004.

61. مقومات السرد الإعجازي في الخطاب القصصي القرآني -دراسة تحليلية نموذجية في سورة الكهف-رسالة ماجستير – إعداد : دحماني نور الدين- إشراف: سليمان عشراتي- جامعة وهران -2001-2002.

62. العدول عن مقتضى الظاهر في الخطاب القرآني مقاربة أسلوبية- رسالة دكتوراه -إعداد :عبد الخالق رشيد-إشراف: مختار حبار- -جامعة وهران-2006-2007.

6.المراجع باللغة الأجنبية :

63. l'argumentation ,pierre Oléron PUF-paris -1983.

64. [1] L'argumentation Du Discours A La Pensée –Georges Vignaux –France -Edition Hatier-1999-p24.

65. l'argumentation dans le discours-ruth amossy –France –edition NATHAN -2000.

66. L'argumentation dans la communication –Philippe breton –Alger –casbah édition -1998.

67. L'argumentation Dans La Langue- Jean-Claude Anscomdre Et Ducrot-Mardaga 3 Eme Edition –Belgique-1997.

68. DE L'orateur ,cicéron , marcus tullius , traducteur .E.courbaud les belles lettres ,1967.

69. Dictionnaire de linguistique francais-arabe –bessam baraké-1er edition-liban 1985.

70. L'élément d'analyse du discours –georges-elia sarfati –franc nathan -1997.

71. . Elkamel elwasit dictionnaire français -arabe –youcef Med reda.-librairie du liban publishers-1997.

72. La Rhétorique –Michel Meyer -1ER EDITION –PUF-2004.

مواقع الإنترنت.

73. www.al-manarah.com
74. WWW.el-maqha.com.
75. www.fikrwanakd. com

مقدمـــة.....أ-ز

مدخل :الحجاج – مفاهيمه وآلياته النظرية:

توطئة.....02

I.مفهوم الحجاج.....03

1.الحجاج في اللغة.....03

2.الحجاج في الاصطلاح.....04

1.2.الحجاج عند بيرلمان.....04

2.2.الحجاج عند انسكومبر.....05

3.2.الحجاج عند طه عبد الرحمان.....07

II.الحجاج بين الجدل والبرهان والاستدلال.....08

III.الخطب الحجاجي وسماته.....13

1.طبيعة الخطاب الحجاجي.....13

2.سمات الخطاب الحجاجي.....16

3.الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه.....20

4.الحجاج والمقام.....23

VI.تقنيات الحجاج ونظرية السلالم الحجاجية.....26

1.تقنيات الحجاج (أنواع الحجج).....26

1.1.الحجج الشبه منطقية.....28

2.1.الحجج المؤسسة على بنية الواقع.....32

3.1.الحجج المؤسسة لبنية الواقع.....33

2.نظرية السلالم الحجاجية.....37

1.2.مفهوم السلم الحجاجي.....38
2.2.قوانين السلم الحجاجي.....40
1.2.2.قانون الخفض.....40
2.2.2.قانون تبديل السلم.....41
3.2.2.قانون القلب.....41
3.طبيعة البنية الحجاجية (خلاصة وتقويم).....42
الفصل الأول: الحجج الشبه منطقية
I.الحجج الشبه منطقية التي تعتمد على البنى المنطقية.....47
1-التناقض وعدم الاتفاق.....48
2- التماثل والحد في الحجاج(الهوية والتحديد والدور).....52
3- الحجج القائمة على العلاقة التبادلية.....55
II.الحجج الشبه منطقية التي تعتمد على البنى الرياضية..... 58
1- التعدية والتضمن والتقسيم.....58
2- المقارنة.....64
3- الحجج القائمة على الاحتمال.....69
الفصل الثاني: الحجج المؤسسة على بنية الواقع
1. روابط التتابع أوالتعاقب.....74
2. الغائية.....82
3. روابط التزامن أوالتواجد (التصاحب).....88
الفصل الثالث: الحجج المؤسسة لبنية الواقع
- I.الحجج المُبَنْيِنَة للواقع التي تعتمد على الحالات الخاصة.....97
1.الشاهد.....97

2.المثال.....99
3.القدوة.....104
ب-.الحجج المُبَنْيِنَة للواقع التي تعتمد على التمثيل.....107
1. التشبيه..... 108.
2. الاستعارة.....113
3. التناسب.....118
خاتمة.....122
قائمة المصادر والمراجع.....126
الفهرس.....132